دراسات قَدْمُس (5)

"عودة" اليهود في الفكر البروتستانتس الإنجليزي (1790 - 1840م)

مَيِر فْرِتِه

قَدْمُس للنشر والتوزيع


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

دراسات قَدْمُس (5): «عودة» اليهود في الفكر البروتستانتي الإنجليزي (1790 - 1840م)

تأليف: مير فريته
ترجمة: فاضل جتكر
مراجعة: زياد منى
تصميم الغلاف: نبيل المالح
إخراج: ناهلة الكايد (قَدْمُس للنشر والتوزيع)

قَدْمُس للنشر والتوزيع
دار المهندسين (0905) - الفردوس - ص. ب: 6177 - دمشق - سورية
هاتف: 222 9836 (11-963+)
برّاق: 224 7226 - 442 7393 (11-963+)
بريد إلكتروني: sy.cadmus@net

التوزيع خارج سورية:
شركة قدمس للنشر والتوزيع (ش. م. م) - ص.ب: 113/6435
شارع البصرة (بناء قرطاس) - الحمرا - بيروت - لبنان
هاتف: 054 750 (1-961+). برّاق: 053 750 (1-961+)
بريد إلكتروني: alfurat@inco.com.lb

يمكن الاطلاع على كتب الدار ومنشوراتها في صفحة الدار على (الشبكة) www.cadmus-books.com وانظر أيضاً: www.alfurat.com
تأشيرة الرقابة: 47158 - بتاريخ 12/ 3/ 2000 م


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

ميرِ فِريتهِ

عودة اليهود

في الفكر البروتستانتي الإنجليزي*

(1790 - 1840 م)

ترجمة
فاضل جتكر

مكتبة المهتدين الإسلامية

(1)

حين قرر اللورد شافتسبري، في صيف عام (1840 م) توجيه رسالته الشهيرة إلى وزير الخارجية، حول عودة اليهود إلى فلسطين، موضحاً له أهميتها للمصالح البريطانية، وحاثاً إياه على تشجيع إعادة توطينهم، لم يكن الإيمان بفكرة الإعادة وتحقيقها العاجل واسع الانتشار، بعد، في بريطانيا.[1] فهذا الإيمان الشعبي انبثق من نهج خاص من مناهج التأويل الكتابي، المرتبط بمعنى من المعاني، بالإحياء الديني في بريطانيا القرن الثامن عشر، الذي كانت تغدو جزءاً منه عقيدة ألفية بدورها، لكن ببطء وثبات. وبالتالي فإن تحديد طبيعة الإيمان، لكشف السبب الكامن وراء تحول اهتمام الجمهور نحو اليهود ورسوخ الإيمان بالعودة، يستدعي بالضرورة أن نعود إلى ما قبل رسالة شافتسبري، إلى العقد الأخير من القرن السابق، حيث نشأت العقيدة ونضجت ونمت وبدأت تنتشر على نطاق واسع. وجذور هذه النشأة تعود إلى ما قبل ذلك بكثير. غير أن من الممكن وقف السعي إلى الوراء عند التسعينيات لمعاينة بروز فكرة البعث كما كانت في ذلك الزمان: توغلها في عقل الجمهور، واستيقاظ الاهتمام باليهود وعودتهم إلى فلسطين، والسير قدماً بعد ذلك لتعقب تطورها وانتشارها في غضون السنوات الخمسين التالية. فإلى الآن ليس ثمة دراسة معمقة واحدة للموضوع. غير أنه موضوع جدير بالتمحيص بحد ذاته، كما يصبح فهمه ضرورياً بمقدار ما يصبح مرتبطاً بالمصالح السياسية البريطانية.

يختلف الاهتمام الخاص باليهود الذي نشأ في تسعينيات القرن الثامن عشر كلياً عن (المسألة اليهودية) التي بدأت تشغل الأدبيات الترويجية للعديد من البلدان الأوروبية قبل بضعة عقود. فالأخيرة ناقشت مسائل تحسين أوضاعهم الاقتصادية، والثقافية، والمدنية، والإصلاح الجذري لمهنهم المربحة، وكيفية تحويلهم إلى مواطنين مفيدين

وجديريـن. إلا أن الاهتمام باليهـود في بريطانيا كان موضوعاً للأدبيات الدينية في المقام الأول، حيث شـكل عنواناً لمواعظ، وكراسـات، ومنشـورات، ومقـالات في دوريات مختلـف الحركات والطوائف، كما شـكل دراسـات لاهوتية ومؤلفـات تأويلية معمقة. وما شـكّل (المسـألة اليهوديـة) في تلك الأدبيـات كان تحقيق النبـوءات المتعلقة بالأيام الأخـيرة، بهدايـة اليهـود وإعادتهـم إلى أرض أجدادهـم. وهذه الموضوعـات لم تكن، بطبيعة الحال، جديدة بالنسبة إلى الكتابات البروتستانتية في إنجلترا. فقد سبق تناولها في أوقات مبكرة تعود إلى أواخر القرن السادس عشر، وما لبثت هذه (الأدبيات اليهودية) أن تنامـت وانتشرت إبان الغليان البيوريتاني الكبير. وفيما بعد ما لبثت هذه الظاهرة أن تبددت، بعد استعادة النظام الملكي. ثم جاء الانتعاش الديني لينفخ فيها روحاً جديدة؛ ومـن عقـد الأربعينيات فصاعداً ظلت هذه الأدبيات تكسـب المزيد من القوة، مع تيار ألفـي يضفـي عليها الحيويـة ويوقفها على قدميها. فمن تسـعينيات القـرن الثامن عشر إلى منتصـف القرن التاسـع عشر تقريباً، حافظت على مكانتها بثبات، لابسـة بين الحين والآخر ثوب التشـدد والنزعة الكفاحية. وفي الحقيقة فإنها لم تنسـحب من بؤرة الضوء إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى، بل ربما إلى يومنا الراهن. غير أن هذه الأدبيات ليست، رغم تراثها التقليدي الطويل، من طينة متسقة واحدة. إن لها سمات مميزة تخصها خلال الفترة الواقعة في دائرة الحقبة التي تتناولها دراستنا.[2]

أدت حركة الإحياء الديني، كما قيل من قبل، إلى إبراز هذه (الأدبيات اليهودية) مرة أخرى. وكان ثمة عملية عودة إلى الكتاب، وهي جزء لا يتجزأ من أي غليان أو انتعاش ديني في العالم المسـيحي، ما لبثت أن أفضت، بطبيعة الحال، إلى ذلك. فدراسـة الكتاب المقدس، وأسـفار الرؤى خصوصاً، وجهت عقول النـاس إلى اليهود الذين كانوا ذات يوم شعب الرب المختار، إلى وضعهم الحالي ومصيرهم المستقبلي. والجدل الربوبي الذي سـبق بدايات الإحياء والذي دار أيضاً حول مسـألة صحة النبوءة كان له، كما سـنرى، دور في إبراز هذه الأدبيات، مَثَلُه، ربما، مَثَلُ طائفة الأخوة الموارفيين (التي فعلت فعلها فيما يخص الإحياء الديني عموماً). وهذه الطائفة قد كانت أوجدت أبرشية لها في لندن في ثلاثينيات القرن السابع عشر، كما كان تلقين الإنجيل لليهود أحد منطلقاتها. وثمة أيضاً أمر آخر تأثر به هذا الجدل ألا وهو الإعصار الشعبي الذي أثاره (قانون اليهود).[3] غير أن (المسألة اليهودية) باتت، في الوقت نفسه، وثيقة الارتباط بالكتابات الألفية المتجددة

السائدة في تلك الأيام. فأي إحياء ديني يعيد المؤمنين إلى الكتاب لا يكتفي بالسعي إلى تقليد حياة التقوى البسيطة للكنيسة البدائية، عن طريق الوعظ والتبشير بغية توسيع مملكة الرب الموجودة، بل يقوم، جراء طبيعته بالذات، بإلهام أولئك المخلصين (المؤمنين) ودفعهم إلى تأمل ومناقشة ما يخبئه المستقبل للمسيحيين وللعالم ككل، تَحَقُّق النبوءات القديمة بشأن الأيام الأخيرة، حين سيكون الشر والأشرار (رحلوا عن الأرض) ويكون المسيح جاء مرة ثانية لتدشين سيادة الحق والعدالة، مع كل من الأخوّة والحرية والسلام. كما ينطوي تحقيق هذه النبوءات أيضاً على مصير اليهود، على إعادتهم إلى أرض أجدادهم وعودتهم القلبية الصادقة إلى الرب.

في البداية لم تشكل (الأدبيات اليهودية) الخاصة الدائرة حول الهداية والبعث من جهة، والكتابات الإيمانية العامة التي تعالج مصير اليهود في سياق الألفية، إلا تياراً بسيطاً، يرشح ببطء ويتوغل في الجماهير؛ في حين أنه تدفق في التسعينيات على شكل سيل جبار، وفاض مندفعاً نحو القرن التالي. من المؤكد أن التصور الإيماني تطور متأصل عميق للإحياء الديني المتنامي باطراد، غير أنه يستمد القوة بالدرجة الأولى من أحداث عالمية غير عادية في الحقبة الزمنية المعنية، مثل الزلازل القوية المتكررة، والحروب الطويلة، والانتفاضات السياسية المدمرة، التي تبرزه بوصفه خارجاً عن المألوف، فريداً وإعجازياً؛ بل أكثر من ذلك حين يأتي مقترناً بالحالة الدينية والخلقية الساقطة للعالم، وبالأوضاع البائسة لجماهير البشر المفقّرة، المظلومة والمحرومة من الحقوق السياسية. وقد كانت الأحداث السياسية، جنباً إلى جنب مع حروب السبعينيات والثمانينيات في أوروبا، وأمريكا، وآسيا، وافرت بعض الأساس للفكر الألفي. ومع الثورة الفرنسية التي أعقبت ذلك مباشرة فضلاً عن السلسلة المتصلة المتسارعة للتطورات السياسية والعسكرية التي جاءت بعدها، ما لبث ذلك الفكر الألفي أن تورم وتضخم بشكل خارق للمألوف. وجنباً إلى جنب مع النزعة الألفية المتنامية، نمت (الأدبيات اليهودية) هي الأخرى.

من النظرة الأولى، قد يبدو أن ألفيي تسعينيات القرن الثامن عشر لم يكونوا إلا حاذين حذو أسلافهم، وأن الفريقين (السلف والخلف) في طريق واحد. إلا أن الأمر هو غير ذلك على صعيدي الفكر الإيماني عموماً وفيما يخص (المسألة اليهودية) المصاحبة. صحيح أن ألفيي الحقبتين يتبنون، عموماً، الموقف ذاته في كتاباتهم، إذ

يقولـون، منطلقين من نبوءات معينة في سـفري دانيال ورؤيـا القديس يوحنا، إن آيات محددة (شرط تفسيرها بشكل صحيح) تطابق تماماً تصورات تطورات هامة في الماضي، وإن آيـات أخـرى تنبئ بدقـة عن أحداث معاصرة، ليسـت إلا وقائـع الأيام الأخيرة؛ وبالتالي فإنهم يسـتخلصون بحماس شـديد أن النبوءات المتعلقة بالهلاك الكلي للكَفَرة، بعودة إسرءيل، وبانتصار العقيدة الصحيحة، وبسـيادة المسـيح، سـوف تتحقق بسرعة دون أي شـك. صحيـح أيضـاً أن بعـض الألفيـين الأوائل كانـوا ما زالـوا يدعون إلى عقيدتهم في التسـعينيات حول الأحداث (المرعبة) لتلك السـنوات بوصفها اسـتمراراً للأيـام الأخيرة التي قد كانـت بدأت، وعلى أنها مؤكدة لصحـة وجهات نظرهـم. ومع ذلـك فـإن التباين بـين الألفيين، رغم أنهـم كانوا قادريـن على التحلي بالدقـة في عملية إلبـاس التاريـخ المـاضي ثـوب النبوءات، تجـلّى في أنهم كتبـوا بشيء مـن الغموض عن الأحـداث المعاصرة؛ لقد عجزوا عن الإشـارة إلى أي حدث راهـن محدد بوصفه دليلاً عـلى بدايـة الأيام الأخيرة. أما ألفيّو التسـعينيات ومـا بعدها فقد اهتـدوا إلى مثل تلك البدايـة؛ وما أن باتت افتراضاتهم مقبولة، حتى أصبح تطور الأحداث من تلك البداية وصاعداً قابلاً للتفسير بوصفه براهين مؤكدة لصحة النبوءات القديمة بشأن التكشف التدريجي للأيام الأخيرة. ومثل هذا الاختلاف الجوهري يستتبع، بالضرورة، اختلافين آخريـن. ومن الواضح أن الألفيين العلنيين لم يكونوا خلال السـنوات الأربعين الأولى مـن الإحيـاء الديني إلا فئـة قليلة العدد؛ يجـب أن يكونوا قد اجتذبـوا أتباعاً مخلصين، ولكـن هـؤلاء هم أيضاً لم يكونـوا كثيرين. لقد شـكل ألفيو التسـعينيات جماعة كبيرة، ويبدو أن شريحة ذات شـأن مـن الجمهور البريطاني باتت متعاطفـة مع نظرياتهم. ومن جهة ثانية، فإن الفرضيات التي طرحوها وتتابع الأحداث السياسـية والعسـكرية التي بدوا قادرين على جعلها مفهومة، أضفت على معتقداتهم الإيمانية مسـحة من الواقعية، وذلك أدى إلى غرس الإيمان في قلب الجمهور بأن ما كان يجري أمامه ليس إلا السلسلة النبوئيـة لأحـداث تمّ التكهن بها في النبوءات المتعلقة بالأيـام الأخيرة. وبالتالي فقد بدا الأمـر وكأن البشريـة وصلت أخيراً إلى تلك الحقبة وباتت واقفة داخل حدودها. ولهذا السـبب كان من شـأن السـمات المميزة للنزعة الألفية في التسـعينيات أن تبدو مسـوغة اعتبارهـا نمطـاً مختلفاً. ولفهم جانبها اليهودي المحدد يتعين علينا الآن أن نعاين مسـار تطور هذا التيار المحدد من النزعة الألفية.[4]

(2)

كانت الثورة الفرنسية هي التي زودت الفكر الألفي في تسعينيات القرن السابع عشر بنقطة البداية. فبعد بضعة أشهر من اندلاعها، راح الإنجليز يسمعون ويقرؤون أن هذا الحدث الجلل هو النذير بانتهاء الأجيال والبشير بقدوم مملكة المسيح. أما الإعلان الواضح الأول المكتوب عن أن ظهوره «المسيح» بات وشيكاً، فقد تضمنه كراس صغير ألفه شخص معمداني يدعى إدوارد مِهْ، أعاد إنتاج مقتطفات من دراسة بحثية كتبها رجل دين بروتستانتي فرنسي من القرن الثامن عشر يدعى بيير جوريو، حول تحقق النبوءات الواردة في رؤى دانيال والقديس يوحنا. فقد كتب، من جملة ما كتب، أن ثورة كبرى كانت ستقع في فرنسا أواخر ثمانينيات القرن الثامن عشر، وكانت ستطيح بالكنيسة الكاثوليكية فتمهد لـ(دمار البابوية).[5] وكان المؤوّلون البروتستانت تبنوا منذ أجيال الرواية التي تقول بأن الوحوش «الحيوانات العظيمة» الأربعة في الإصحاح السابع من سفر دانيال تدلّ على أربع ممالك، رمز رابعها المملكة الرومانية، وخليفتها الإمبراطورية الرومانية المقدسة المعروفة في الأدبيات البروتستانتية باسم: مملكة كنيسة روما؛ كما يمكن استنتاج ذلك أيضاً من رؤيا القديس يوحنا التي لم تكن سوى تعليق على رؤى الأيام الأخيرة في نبوءة دانيال. ومن رحم هذه المملكة الرابعة برزت ممالك أخرى، وكانت الداعمة الأقوى بينها للكنيسة الكاثوليكية في الماضي القريب هي فرنسا. ومع سقوط الحكومة الفرنسية، كما قد كان جوريو أشار، فإن فترة «زمان وزمانين ونصف زمان» (دانيال 2:17) المؤلفة من (1260) عاماً التي خصصها الرب لسيادة الشر في العالم، ستكون انتهت، وذلك يفتح الطريق أمام تدشين سيادة المسيح. وها هي ذي الثورة قد جاءت الآن لتنزل ضربة مؤثرة بالوحش الرابع، تماماً كما قد كان جوريو تنبأ قبل أكثر من مئة سنة. وبالتالي فإن «تفسيراً صحيحاً»

للنبوءات الرؤيوية كان يستطيع، كما ظل الألفيـون يزعمون على الدوام تماماً، أن يقدم المفتاح اللازم لفهم الأحداث الراهنة واكتشـاف ما هو محتوم وقوعه في المسـتقبل. وإذا كان الوحـش الشريـر الرابـع قد تمت الإطاحة به الآن، فقد شـكل ذلـك دليلاً واضحاً عـلى أن الأحـداث الكبرى الأخـرى الواردة تلميحـاً في رؤى دانيـال والقديس يوحنا كانـت أيضاً سـتقع لا محالـة. كتب إدوارد مِهْ، مقتبسـاً مـن كتاب غوريـو، يقول: «إن الإمبراطورية البابوية ستسقط» أولاً. ومن ثم، بعد «تكريس عدد من السنين على إلغاء الطوائـف والأحزاب وإزالة الخلافات بين المسـيحيين، سـتتم هدايـة العديد من الأمم الوثنية، ومعها اليهود. وبعد هداية اليهود ستتم أيضاً هداية باقي الأقوام الأكثر بعداً»، وعندئذ سـيظهر المسـيح ويقيم مملكته التي سـتدوم ألفاً كاملاً من السـنين. غير أن من الممكـن الاسـتنتاج أن جوريو قد كان اعتقد بأن: «الرب قد يبدأ باحتسـاب السـنوات الألف من سـقوط المسـيح الدجال–البابا، حتى قبل هداية اليهود وغير اليهود». وكان من شـأن ذلك، كما أشـار مِهْ، أن يشي بأن الجنس البشري كان، بالفعل، واقفاً على عتبة مملكة الرب.[6]

كان مِهْ بطبيعة الحال ألفياً، ومن نافل القول أن تفسـيره للثورة في باريس كان مقنعاً لألفيـين آخرين. غير أن الجمهور، بصورة عامة، لم يبدأ بالاسـتجابة الملحوظة لمثل هذا التفسـير إلا بعد تكشـف المزيد من الأحداث في فرنسـا، مثل الإطاحة بالنظام الكنسي القائـم، مما أجهز على نفوذ البابا، وسـقوط النظام الملكي، وقيـام الجمهورية (1791–1792 م). وعندئـذ، كـما على امتداد سـنوات غـير قليلة بعد ذلـك، أصبحت كميات كبـيرة ورخيصة من المقتطفات والاقتباسـات والصياغات المعدلـة المأخوذة من كتاب جوريو متوافرة، جنباً إلى جنب مع مقتطفات وطبعات جديدة لكتب ألفها كهنة ألفيون من القرنين السـابع عشر والثامن عشر، كانوا تنبؤوا بسقوط البابوية وتكهنوا بأحداث الأيام الأخيرة الكبرى التي كانت ستعقب ذلك، وكلها مصحوبة بمقدمات وهوامش وملاحظـات وإيضاحـات كتبها محـررون وناشرون ألفيـون.[7] وفي هـذا الطوفان من المنشـورات جاءت نقطة البداية الحيوية لتفسـير ما كان يجري في باريس، لأن (الوحش الرابـع) قد كان أطيح به وديـس بالأقدام أمام الجميع؛ وكان ثمة أيضاً نوع من البرهان على أن باقي النبوءات المتعلقة بالأيام الأخيرة كانت هي الأخرى وشيكة التحقق. غير أن ما بقي ناقصاً هو تقديم تفسـير منهجي شـامل من قبل كاتب معاصر يقود الجمهور

إلى معرفة المعنى الخفي للأحداث الجارية أمام نواظره ويسلط الضوء على نظام الأشياء الذي كان سيحل في المستقبل القريب.

وما لبث جيمس بِتشنو، بنشره كتاب: «علامات الأزمنة»[8] أن اضطلع بهذه المهمة. ونحن لا نعثر على أي أثر في مؤلف سابق له يدل على أنه كان ألفياً في الثمانينيات. وبوصفه صادق الإيمان، بدينه، كان مؤمناً دون أي شك، بعودة ثانية، ويصلي داعياً إلى ألا يتأخر الحدث كثيراً. وربما كان ميالاً إلى الإيمان، مع الألفيين، بأن العودة لم تكن بعيدة. إلا أنه لم يكن مع ذلك يستطيع أن يرى أي حدث كبير، أو أي مؤشر واضح، يسند إليه إيمانه بثقة. وبعد ذلك وقعت الثورة الفرنسية فبات مقتنعاً. وهو يشهد على نفسه قائلاً إنه قرأ كتاب جوريو ودراسة القس طوماس نيوتن عن النبوءات، كما عكف على إعادة معاينة أسفار الكتاب النبوئية، حتى أصبح معنى جديد لكلماتها جلياً له.[9] ومنطقياً يضيف: إذا كنا نؤمن بأن يد الرب متجلية في سائر الأحداث (ومَنْ كان، في أيامه، يستطيع عموماً أن ينكر ذلك؟) فإن من الواضح أن الرب قد قام أيضاً بإسقاط الملكية البابوية الاستبدادية في فرنسا التي هي قلعة المذهب الكاثوليكي. فما مغزى الحدث إذن؟ في كل شيء يفعله الرب ثمة غاية خفية جنباً إلى جنب مع النظام والهدف؛ وإذا أردنا أن ندرك ذلك كله فإن علينا أولاً أن «نهتدي إلى دليل يرشدنا في أبحاثنا» لأن: «الكل يبدو فوضى» حتى نمسك بمثل هذا المؤشر الموجود في رؤى الأيام الأخيرة التي كانت راودت كلاً من دانيال والقديس يوحنا؛ ومن خلال دمج مضمون هذه الرؤى مع فقرات أنبياء إسرءيل حول الأيام الأخيرة، تمكنّا ليس فقط من فهم ما كان يحدث في فرنسا بل عرفنا أيضاً ما كان المستقبل يخبئه. ويتابع بِتشِنُو تفسيره قائلاً إن الثورة الفرنسية كانت إحدى تلك (الأحداث الخارقة التي تشير إلى أحقاب الزمان العظيمة والتي تفضي إلى إفراز نواميس جديدة للأشياء). فسكرات الموت الحالية للوحش البابوي الرابع كانت تشكل آية سماوية تنبئ المسيحيين بأن السنوات الألف والمئتين والستين من حكم الشر الاستبدادي قد كانت وصلت إلى نهايتها، وبأن الرب يريد الآن تدشين حقبة الأيام الأخيرة. وطبقاً لأغراض الرب، كما هي متكشفة في النبوءات، فإن لهذه الحقبة سلسلة أحداث تخصها، فعقب المرحلة الحالية، يقول المؤلف، سيتم «السقوط الكامل والنهائي للبابوية». أما في أثناء هذه المرحلة الثانية فلن يجري إلا تدمير بعض القوى المعادية للمسيح «وذلك يمهد الطريق، في مرحلة ثالثة،

أمـام بعـث اليهود وإعداد الجنس البشري لنعم أكبر من أي شيء سـبق له أن عُرف على الأرض» كما تكهن كل من إشـعيا، ويوئيـل، وصفنيا. وكان «تجميع اليهود واختيارهم تمهيـداً لهدايتهـم» من مهام المرحلة الرابعة، التي كانت، بدورها، ستشـهد عملية تدمير (بقايا الطغيان) مع تطهير وتوسـيع (الكنيسـة الأُمّيّة). وهذه المرحلة ستسـتغرق عدداً كبيراً من السـنوات إلى أن تكتمل «ومن المحتمـل أن يتم في نهايتها ذلك الظهور المجيد للـرب لصالح عبـاده» كما وعد حزقيال، وزكريا، والقديـس يوحنا. «الآن بعثت الأمة اليهودية فجأة، ولا بد أن تتم هداية جميع صنوف الوثنيين إلى المسيحية» كما تنبأ كل من إشعيا، وإرميا، وحزقيال.[10]

وبعـد ذلـك عرض بِتشِـنُو عـلى الجمهور تفسـيراً منهجيـاً وشـاملاً لمـا كان جارياً في فرنسـا، وكشـف النقاب عن سر المغزى الألفي لذلك بالنسـبة إلى المسيحيين والعالم ككل في المسـتقبل المباشر، ووضع مخططاً تفصيلياً لمجمل أحداث حقبة الأيام الأخيرة. وفي هذه الأثناء قام أيضاً بإيراد بعث اليهود في سـياق تلك الأحداث، مشـيراً إلى أهميته في عمليـة تحقيـق الألفيـة «السـعيدة». ومـن المهم أن نلاحـظ أنه قد كان أتـى على ذكر البعـث في الثمانينيـات. غير أن توضيحاً أفضل للاختلاف بين مناقشـة هذا الموضوع في السنوات السابقة مقارنةً بالتسعينيات، فيما بين كتابات بِتشِنُو السابقة واللاحقة، يتعذر الحصـول عليـه في أي مكان آخـر. ففي تلك الأيـام كان ثمة جدل محتدم بـين الدكتور جوزف بريستلي وشخص يدعى ديفيد ليفي حول القضية الأزلية المتمثلة بمسألة ما إذا كانت نبوءات العهد القديم قد تكهنت بالمجيء الأول ليسوع. تدخل بِتشِنُو في النقاش بـ«خطـاب وُدّي موجـه إلى اليهود» قـال فيه، من جملة مـا قاله: إن مسـتقبلاً مجيداً كان ينتظر اليهود، وسـتتم اسـتعادتهم إلى أرضهـم، بفضل قيام المسيح (المخلص) بإنقاذهم وجمعهم؛ ولكن كان يتعين عليهم، أولاً، أن يعودوا إلى الرب وأن يعترفوا بالمسـيح.[11] وعمومـاً، إذا كان هذا هو الموقـف المألوف للأدبيات الجداليـة الدائرة حول الموضوع؛ فإن موقف بِتشِـنُو بالتالي لم يأت مختلفاً حين اشـترط حصول الهداية قبل البعث. ولكن بِتشِـنُو ما لبث، بعد بضع سـنوات، أن عبّر عن رأيه بطريقة مغايرة. فـ«علائم الأزمنة» التي أدركها الآن أوحت إليه بأن البرنامج الزمني للحقبة الجديدة قد كان وضع مسألة بعـث اليهود قبل اعترافهم بيسـوع. أضـف إلى ذلك أنه لم يكتـف الآن باعتبار عودتهم أمـراً غـير مشروط، بل بـات الموقع الحيوي الواضـح لعملية البعـث في مخطط أحداث

الحقبة الجديدة مبيناً بجلاء؛ فهذه العملية كانت جوهرية في سبيل إلحاق الدمار الكامل بكل القوى المعادية للمسيح، في سبيل تمهيد الطريق أمام العودة الثانية، ومن أجل نشر العقيدة المسيحية الطاهرة بين جميع الأمم، وفي سبيل إقامة ملكوت الرب على الأرض؛ ذلك العصر الألفي المبارك، أعز وأغلى آمال العالم المسيحي المؤمن. وحتى حين يبدو بِتشِنُو أول من قام، في تسعينيات القرن الثامن عشر، بصياغة العقيدة الألفية الجديدة بمجملها، فقد كان في الوقت نفسه أول من أدخل فيها بثبات وقوة موضوعة اليهود، وأول من حدد عملية إعادتهم إلى فلسطين بوصفها حدثاً مادياً ملموساً.

(3)

خرج القسم الأول من «علامات الأزمنة» من المطبعة أوائل عام (1792 م). ومع نهاية العام التالي ظهرت طبعتان إضافيتان. وما لبثت بداية عام (1794 م) أن شهدت صدور طبعة رابعة للقسم الأول مع الطبعة الأولى للقسم الثاني، ومع حلول نهاية ذلك العام كانت ثلاث طبعات للقسمين صدرت. وفي العام التالي قام بِتشِنُو بإصدار طبعتين لكتاب جديد. وهنا، أيضاً، أعاد، بلغة بسيطة وموجزة، مفعمة بقدر عميق من الإيمان والحماسة، سرد النقاط الرئيسة للتصور الألفي، مدخلاً فيه موضوع عودة اليهود إلى فلسطين. وكما سبق له في كراسه السابق أن حدد وقتاً معيناً لمختلف مراحل الأيام الأخيرة، قام الآن باعتماد برنامج زمني لمسار الأحداث المتتالية.[12] والآن لم يكن بِتشِنُو وحده الذي يدعو إلى عقيدة ألفية. فقد التحق به وبالآخرين الذين قد كانوا شرعوا يغطون ويكتبون بهذا النَّفَس عالم ولاهوتي بارز، وداعية غزير الإنتاج، ومنشق مثل بِتشنو، هو الدكتور جوزف بريستلي. وعلى الرغم من أنه لم يكن متمتعاً ببلاغة بِتشنو، فإنه أصر على تأكيد أن الثورة الفرنسية والحروب التي أفرزتها بشّرت بمملكة المسيح. ومع أنه لم يصل في تهوره إلى حد احتساب تواريخ محددة، فإن كلماته لم تترك أي مجال للشك في أنه كان يرى العصر الألفي في متناول اليد، وفي أن اليهود سيعودون إلى أرضهم قبل ظهور المسيح (المخلص). كما أنه، وهو الذي، مثله مثل بتشنو، قد كان طالب اليهود بالاعتراف بيسوع حتى تتوافر إمكانية إعادتهم، كّف الآن عن أن يرى بأن عودتهم متوقفة على إيمانهم.[13]

كانت المواعظ والكراسات والمنشورات فضلاً عن الأجواء الألفية المتعاظمة فعلت فعلها في شخص يدعى رِتْشَرد برذرز، وهو ضابط سابق في البحرية ما لبث أن تحول إلى داعية سلام واستقال من عمله. ومع حلول عام (1792 م) بدأ برذرز يتنبأ، زاعماً أن

(الرب) حمّله مسؤولية إنقاذ إنجلترا والعالم، وأنه، بوصفه من نسل داود، كان الشخص الـذي سـيتولى قيـادة عملية إعـادة اليهـود إلى أرضهـم في غضون بضعة أعـوام. وعلى الفـور بـدأت نبوءاته تُنـشر، وما لبث أن اجتـذب مجموعة كبيرة مـن الأتباع والأنصار المتحمسـين. أمـا مؤلفاته وأعمال بعـض أتباعه فقد صدرت في طبعـات عديدة وبيعت بـالآلاف من النسـخ. وجـاء الناس مـن مناطق البـلاد العديـدة أفواجاً لرؤية المسـيح الجديد، وفي لندن بات الناس شـديدي التأثر حتى إن الحكومة رأت أن من الضروري اعتقالـه، فتم جلبه إلى مجلس الشـورى وحقق معه مطولاً رئيـس مجلس القضاء الأعلى بحضـور (بِت) رئيـس الوزراء وبعـض الـوزراء. ولا ينصب اهتمامي هنـا على برذرز نفسه. فأهمية مجمل القضية فيما يخص هذا البحث، لا تكمن في شخصيته بقدر ما تكمن في الجمهور الذي اسـتجاب لدعوته، في جمهور أصيب بالذهول والدهشـة والاستثارة جراء انتفاضات الأيام، وبات مستعداً للإصغاء المتعاطف إلى الزعم الألفي القائل بأن الرب قد دشّـن أخيراً حقبـة الأيام الأخيرة.[14] وبالفعل فبعـد أن أُودع (ملك اليهود) هـذا مصـح «عقلي» وبعـد أن مرت العديـد من نبوءاته عـن عـام (1795 م) دوان أن تتحقـق، فإن العاصفة التي أثارها ما لبثـت أن هدأت تدريجياً. ومع ذلك ظل الجمهور ينتظر متوجسـاً تكشّـف (أحداث كبرى ورهيبة) وكان مسـتعداً، بل متشـوقاً، لتلقف كلـمات الألفيين الذيـن دأبوا على تزويده بسـيل من التعليقات والـشروح، وعلى إيقاد نار الحماس في صفوفه. وبدا قيام الجيش الثوري بإسـقاط السـلطة الزمنية للبابا، بإقامة جمهورية روما، وإجبار بيوس على الرحيل إلى المنفى (1797-شـباط 1798 م) كما لو كان تأكيـداً أن الألفيـين كانوا على صواب حين أعلنوا، منطلقين من تفسـيرهم لنبوءتي دانيـال والقديـس يوحنا، أن سـقوط النظام الملكـي الكاثوليكي الفرنسي كان سـيعقبه انهيار كنيسـة روما. ووفقاً للتتابع المحتوم مسـبقاً لأحـداث الحقبة، بات الألفيون الآن يؤكـدون أن سـاعة الإمبراطورية التركية الكافرة كانت هـي الأخرى قد دقت؛ وما أن تتجرع تلك القوة كأس الهزيمة وتنهار، حتى يأتي دور بعث اليهود. فمنذ أن باتت أنباء حملة نابليون على مصر وفلسطين معروفة في إنجلترا، بدت نبوءة الألفيين صحيحة مرة أخرى. ويبدو أن وجهة النظر، بل القناعة الراسخة في أوساط معينة، القائلة بأن الجنس البـشري ربما كان، حسـب أقوى الاحتـمالات، واقفاً على عتبة مملكة السـماء «ملكوت الجنة» باتت متداولة.[15]

لم تعد ذ إفَنغِليكل مغازين «المجلة الإيفانغيلية» وهي دورية أسسها منشقون وإيفانغيليون أنغليكان بالتعاون فيما بينهم، قادرة على التزام الصمت. وهذه النشرة الشهرية ربما كانت تعكس بصدق مزاج تلك الشرائح ذات الشأن من السكان التي كانت تميل إلى تصديق المذهب الألفي بصورة عامة ولكنها ظلّت عازفة عن التعبير الصريح عن آرائها. وبالفعل فإن المجلة، بعيد ظهورها الأولي، حملت مقالة قصيرة صريحة في ألفيتها من حيث الروح. غير أن المحررين أبدوا حرصاً على عدم الظهور بمظهر المؤيدين الصريحين للألفيين؛ وعلى امتداد السنوات الثلاث التالية لم تظهر أية مقالات مماثلة، كما لم تلاحظ أية أدبيات ألفية معاصرة في زاوية عرض الكتب. بل رأى المحررون، على النقيض من ذلك، نتيجة قضية برذرز، من المناسب أن يصدروا تحذيراً شديداً لكل أولئك العاكفين على احتساب تواريخ محددة للأيام الأخيرة، أو على بذل المساعي في سبيل تعجيل قدوم المسيح، أو على التنبؤ. غير أن المجلة عاودت ثانية، بعد بضعة أسابيع، نشر الآراء الألفية على أثر وقوع أحداث كبرى في أوروبا بدت مؤكدة للتسلسل الألفي لأحداث (الحقبة الجديدة) إما في عروض كتابات ألفية أو في مقتطفات مأخوذة من مثل هذه الكتب. كما اتبعت مجلة الإنجيل ذ غسبل مغازين عموماً الخط ذاته.[16]

وتماماً كما هو متوقع فإن المؤلفات الألفية، التي تزايد إنتاجها لاستهلاك الجمهور، كانت أكثر صراحة وقوة. ولم يعد التفسير الديني للأحداث الراهنة والتكهن بالمستقبل مقصورين على كهنة متواضعين مغمورين من المنشقين أو الإنجيليين المقيمين في أماكن نائية. فعلى سبيل المثال، التحق ثري محافظ وابن بار للكنيسة القائمة، وهاوي آثار قديمة، ومؤرخ وعضو في الجمعية الملكية، يدعى إدوارد كِنغ، بركب الأنبياء. ومع حلول نهاية عقد الثمانينيات لاحظ آيات دالة على الأيام الأخيرة، وقد كان تطور الأحداث في التسعينيات جعله يتمسك بآرائه. وفي عام قيام الفرنسيين بغزو مصر بات شديد الاقتناع بأن حساباته كانت صحيحة ودقيقة، وذلك دفعه إلى نشر مؤلّفين في غضون بضعة أشهر، حاول فيهما إثبات مدى تطابق نبوءات معينة في نبوءة إشعيا، ولا سيما بعض الآيات الغامضة في الإصحاح الثامن عشر، مع آيات معينة في كل من دانيال وسفر الرؤيا، تطابقاً كاملاً بالتفاصيل مع الأحداث الكبرى للسنوات الماضية من جهة، ومع مختلف الأمم المشاركة من جهة ثانية، كما ينبغي لها أن تكون في آخر الأيام. لم

يكن يراوده أي شـك بأن اليهود كانوا سيعودون سريعاً إلى وطنهم، وبأن مملكة الألف عام كانت قاب قوسين أو أدنى.[17]

استاء الأسـقف سـامويل هورسـلي مـن التحـاق كنغ بركـب الألفيـين الصريحين النشـيطين. فالنزعـة الألفية الصاخبـة والمتطرفة كانت تحمل ليس فقـط بذور إضعاف الدين بل عوامل تقويض سـلطة الكنيسـة أيضاً؛ وربما كان اضطرار محافظ سـويّ مثل كنـغ للتعبير عن آراء من هذه الطبيعـة مؤشراً على أنه لم يكن وحيداً في تبني تلك الآراء في طبقتـه. أضـف إلى ذلـك أن خطـأ مـا لبث أن قـاد إلى آخـر. ففي كتاب نُـشر في عام (1798م) ألمـح كنـغ إلى مـا قالـه صراحـة في كتـاب لاحق، حـين أشـار إلى أن الثورة الفرنسـية يجـب أن تكـون، على مـا يبدو، هـي التـي عينتها السـماء مخلصـة لإسرءيل، وقـد جـرى تكليفهـا إنجاز مهمة نقـل اليهود إلى أرضهـم بمراكبها. وبرأي الأسـقف هورسـلي، أحد الركائز الكبرى للكنيسـة، كانت فكرة أن يكون شرف عظيم كهذا من نصيب فرنسا الهرطقية، بالذات، منافية للعقل ومستحيلة. أضف إلى ذلك أن شعوراً لا وطنيـاً كهذا كان ينطـوي على قدر من الخطورة على البلاد. مع ذلك، لم يكن كنغ وحده متبنيـاً هـذا الـرأي. فكل من الأنغليـكاني، والباحـث في كمبردج هنري كِت وبِتشـنو، مثـلاً، كانـا ميالـين إلى الاتفاق معـه؛ فضلاً عـن أن الفكرة كانت تنتـشر. وبات جمهور عريـض، وخصوصاً بين صفوف المنشـقين، يتطلع باحترام إلى الثورة الفرنسـية، معلقاً أمـل الخلاص مـن أوضاعـه الاجتماعية والاقتصادية والسياسـية المترديـة، على تغلغل نفـوذ الأفكار والمبادئ الفرنسـية الجديدة في إنجلترا. وكان عدد غير قليل من الساسـة اليسـاريين متعاطفـاً علنـاً مع الثـورة. وإذا كانت تفسـيرات نبوءات كتابيـة من جانب شـخصية محافظة مرموقة ستقوّي الآن، ولو دونما وعي، مواقع هذه الأوساط الواسعة أيضـاً، كما يجب أن يكون هورسـلي اعتقد، فأي أمل كان سـيبقى للنظـام القائم وللبلد ككل؟ وفي ذلـك الوقت بالذات كانـت البلاد تواجه تهديد عدوان فرنسي، وفي واحد، على الأقل، من موانئ السـاحل الجنوبي، كان المواطنـون الإنجليز رفضوا الانخراط في عمليـات إقامة الدفاعات الخاصـة بالتصدي للغزو، معتبرين محاربة الفرنسـيين الذين اختيروا ليكونوا أداة سـماوية «إلهية» لخلاص إسرءيل، شـعب الـرب، خطيئة.[18] وكما هو معروف، جهدت سلطات الكنيسة والدولة، على حد سواء، في سبيل اتقاء شر مثل هـذه المظاهر الباعثة على القلق على الصعيدين الديني والسـياسي. وتم إصدار جملة من

القوانين والمواعظ ونشرها لكبح سلسلة من الفعاليات السياسية التي كانت إصلاحية في طبيعتها؛ فأصدر القساوسة الإنجيليون العديد من المواعظ حول (العقيدة السليمة) وضد (الحماس) داعين الجمهور إلى الإخلاص للملك والكنيسة والوطن. غير أن المنشقين كانوا يسيطرون على مئات عديدة من الكنائس التابعة لهم، وباتت النزعة الألفية متوغلة بصورة جدية في الجمهور الأنغليكاني أيضاً. وبالتالي أدرك هورسلي، على ما يبدو، أن المواعظ وحدها لم تكن كافية، وأنه يجب محاربة الألفيين بأسلحتهم الدعائية نفسها، أي بشرح النبوءات الدائرة حول الأيام الأخيرة، وبتسليط الأضواء على الطريقة الصحيحة لتفسيرها وفهمها.

لعل تفسيرات كنغ القسرية لما يحتمل أن تكون أكثر آيات إشعيا غموضاً هي التي جعلت مهمة هورسلي سهلة إلى حد ما. فبقدر كبير من اللطف والاعتدال والسخرية المضمرة رفض حجج كنغ بلباقة، وعن طريق تقديم تفسير أكثر منطقية للنص، أشار إلى الطريقة التي ينبغي اتباعها في بسط النبوءات. وسارعت مجلة: ذ جنتلمَن مَغَزين «السيد المحترم» وهي مجلة محافظة محترمة وعريقة، إلى الترحيب بتعابير السرور والاستحسان بكلمات الأسقف الموزونة. ومع ذلك فإن الكاتب قد كان، كما يفعل النقاد المحترفون أحياناً، قلّب صفحات مقالة هورسلي بتعجل مفرط. وسرعان ما جرى تنبيهه إلى خطئه. فقد كتب (أغريكولا) العقلاني ذو الذكاء الحاد في عدد لاحق من المجلة نفسها، لدى قيامه بتحليل كتاب هورسلي: «لا يسعني إلا أن أشك في أن العقل الراجح للأسقف هورسلي يميل قليلاً إلى التطبيق الحديث لنبوءات قديمة، بعيداً عما هو... نزوعها المباشر والواضح. ولا يسعني إلا أن ألمس أن لديه آراء تخصه حول الموضوع، يتركها لحدس قرائه، دون إبرازها بوضوح، أما ملاطفته صديقه الحالم «كنغ» بشأن أوهام الأخير البريئة، فتبدو ناشئة عن تعاطفه المتأصل الخاص مع إمكانية تحقيق خلاص اليهود «آخر المطاف»... على يد إنجلترا...». وبالفعل فإن عبارات هورسلي، على الرغم من رفضه المباشر تفسيرات «كنغ» القسرية وتحذيره الصارم من احتساب أي تواريخ للأيام الأخيرة، كانت تنطوي على ما يشي بأنه، هو أيضاً، كان مؤمناً بأن حقبة خلاصية كانت وشيكة، وبأن جماعة صغيرة من اليهود ربما كانت ستلتحق بركب الفرنسيين المعادين للمسيح وتستوطن القدس تحت وصايتهم. صحيح أن القسيس قد كان جاء ليلْعَن، ولكنه ما لبث أن عكف على كيل المديح للمعسكر الألفي. ولم يعد

هورسـلي الآن محض قسـيس، بل أصبح رجل علم مرموقاً في عـصره، ومحرر مؤلفات إسـحاق نيوتـن، وعضو في الجمعيـة الملكية، ومعتـبراً، عموماً، (قسـيس العصر). من المتعذر تحديد التاريخ الذي أصبح فيه هو أيضاً متأثراً بالتعاليم الألفية. ولربما تأثر بآراء نيوتن إذ وجدها قابلة للتطبيق على أحداث تسـعينيات القرن الثامن عشر غير العادية. ومهما يكن شأن هذا، فإن هورسلي ظل، على ما يبدو، نصيراً مخلصاً للنزعة الألفية، منذ قيامه بنشر تعليقه على الإصحاح الثامن عشر من سفر إشعيا، وتوفي مؤمناً بها. أما آراؤه التي ساهمت الدورية المحافظة، دونما قصد، في نشرها، فمن المؤكد بالضرورة أن تكون مارسـت تأثيراً ذا شـأن على الجمهور المتدين، وخصوصاً المعسكر الأنغليكاني المتحفز، والقابل للاستثارة، والكفاحي. كما كان مناسباً جداً أن يتم الحصول على الدعم من مثل هذا المرجع المتميز. وعلى أية حال فإن الألفيين انقضوا عليه كما لو كان كنزاً ثميناً.[19]

وكان بِتشِـنُو أول الذين أفادوا من كتابات هورسـلي في معالجة مسألة تتعلق بالبعث اليهـودي الذي كان موضوعـاً آسراً اهتمام الجمهور بصورة متزايدة. وكما أسـلفنا، قام المؤلفـون في عام (1797-1798 م) بربط أحداث العصر السياسـية الكبرى بإمكانية عودة يهودية وشيكة إلى فلسطين. بل إن العديد من الكتاب بادروا إلى تحديد نهاية القرن، أو بدايـة القـرن التالي، موعداً لبداية عملية العودة. فبعد شـهرين من إبحار الأسـطول الفرنـسي من تولون، ولكـن قبل الحدس الصحيح في إنجلـترا لوجهته، نشرت جريدة ذ كوريـر في (19 حزيـران) مقـالاً طويلاً بعنوان «إعادة تأسـيس الحكومـة اليهودية». في الحقيقـة، لم يكـن المقال إلا ترجمة مأخوذة عن صحيفة فرنسـية لمقالة «رسـالة يهودي إيطالي إلى إخوته» داعياً إياهم، كما قالت دورية إنجليزية «إلى تشـجيع عقد مؤتمر ليهود كل البلدان» لمناقشـة الظروف الخيرة المبشرة بتحقيق العودة إلى فلسطين وتنظيمها. وما لبث مقال ذَكورير أن تمت إعادة طباعته على شـكل كراس، كما قدّمت «مجلة الإنجيل» في عـدد حزيـران مقطعاً مطولاً منه تصـدّره عدد من التعليقات عـلى البعث؛ وفي (14 تمـوز) ألمحت صحيفة ذَ سـانت جيمـس كرُنِـكَل إلى المقال على أنه «المـشروع الفرنسي لجمهورية يهودية».[20] وبعد بضعة أشـهر سـارع بِتشـنو، بعد أن كان غزو مصر أصبح معروفاً، إلى تفسير هذه الأنباء كلها في ضوء آرائه الدينية والسياسية في ملحق أضافه إلى الطبعـة الثالثة لكتابه: «نظرة إلى تاريخ المسـيحية». فقد كتب يقول: «... الحركة الحالية في الشرق، إذا ما ربطناها بالأحداث الرائعة للسنوات التسع الأخيرة، وخصوصاً لأنها

جاءت في أعقاب سقوط الحكم البابوي مباشرة... توحي بشكل مذهل بأننا موشكون على الدخول إلى قلب كأس الغضب السادسة (رؤيا يوحنا 16:12)، التي ستنصب على الإمبراطورية العثمانية... ونحن الآن مدعوون إلى السعي لبعث اليهود المشتتين... فلدى قيام عدو غاز بإسقاط الحكم التركي في فلسطين، فإن ذلك العدو سيفكر، من منطلقات سياسية وفكرية، وفي سبيل إنجاح مخططاته، بدعوة اليهود إلى امتلاك إرثهم القديم». وثمة راهب أنغليكاني مرموق إلى حد ما يدعى هنري كت عبّر عن الآراء نفسها.[21] ومن المؤكد أن بِتشِنُو أحس بالدعم. وبالتالي فقد بادر إلى نشر طبعة أخرى بعد حوالي عشرة أشهر، بغية إقناع الجمهور بأن تعليقاته في الطبعة الأخيرة من كتاب «نظرة...» لم تكن أوهاماً مجردة، مضيفاً إلى الملحق الخاص بشؤون الشرق قائمة إشارات إلى جمل واردة في الأنبياء والعهد الجديد (حول عودة الشعب اليهودي وهدايته ومجده في المستقبل). وكتب يقول: «سيجري بعثهم قبل هدايتهم وتمهيداً لها... وستكون عودتهم عند تشظي دول العالم وممالكه... كما أنهم سيكونون أدوات مميزة بأيدي السماء، بغية... إحداث تغييرات واسعة في العالم». وحتى رئيس التحرير الذي أومأت إليه مجلة ذ جنتلمَن مَغَزين وهي تعكس ما كان يعتبر وجهات نظر الطبقات العليا القريبة من العقلانية، والأكثر ولاء للملك والكنيسة والوطن، لم يتردد في اقتباس مقتطفات مطولة من هذا الكتاب. وقد كان سبق له أن نشر رسالة قارئ أظهر، في دعمه لمجمل آراء هورسلي في مواجهة انتقاد (أغريكولا) احتمال بعث قريب. صحيح أن رئيس التحرير قام الآن بتقديم بِتشِنُو بلغة فيها مسحة من السخرية؛ ولكن حقيقة أن المقاطع التي طُبعت أساساً، تبدو مظهرة مدى تعاظم نمو نفوذ التفسيرات الألفية للأحداث الراهنة وانتشارها. فقيام جيش الثورة الذي لا يقهر بمحاربة المماليك والأتراك في مصر وفلسطين، يجب أن يكون بدا لكثيرين، بكل التأكيد، كما لو أن المخطط الألفي قد بدأ يتحقق عملياً. وفي مثل هذه الأجواء والظروف فإن إحياء اليهود: (البعث السياسي لإسرءيل) لم يكن ليبدو نبوءة خيالية على الإطلاق.[22]

ومع الوصول إلى عتبة القرن الجديد رأى بِتشِنُو أن من المناسب أن يوضح، في مؤلّف آخر، أكبر، المعنى الإجمالي الشامل لـ(بعث اليهود) بالنسبة إلى المسيحيين عموماً، والشعب الإنجليزي وساسته بصورة خاصة ودعا الجميع إلى إمعان النظر الجاد في هذا الحدث الجلل والوشيك، المتمثل بـ(أزمة الأمم كلها).[23] وبالفعل كانت

الفكرة تنتشر بسرعة، آسرة اهتمام دوائر متزايدة الاتساع باتت ترد بنَفَس مماثل للأجواء المصاحبة لفكرتي (المجيء الثاني) و(العصر الألفي السعيد) ويجري الكلام عليها كما لو كانت تحصيل حاصل. من المؤكد أن يوم الحساب والعصر الألفي كانا يشغلان الأذهان، كما تردد ذكر بعث اليهود بوصفه جزءاً من حقبة الأيام الأخيرة. ومع ذلك فإن الفكرة، حتى لدى أخذها وحدها، كانت باعثة على القلق، مثيرة قدراً كبيراً من الدهشة. وإضافة إلى ذلك، كانت تنطوي على بعض المشكلات ليس فقط فيما يخص الحدث بالذات، بل على صعيد الرأي المسيحي التقليدي المعياري حول الموضوع أيضاً، وربما بسبب الموقف المشترك من اليهود عموماً. وبالتالي فإن عودة اليهود كانت أيضاً تصبح أطروحة بحد ذاتها، في جملة النقاشات، والمواعظ والكتب، وربما الأحاديث والمراسلات أيضاً، وإن لم يتم العثور على أي أثر لذلك حتى الآن. من الصحيح، إذن، أن نتناول الآن هذا الموضوع بصورة أشمل وعلى حدة، بعد أن ارتكزت معالجتنا حتى الآن إلى نشوء المفاهيم الألفية، ذات الارتباط الوثيق به، في التسعينيات، في المقام الأول.

(4)

تعود جذور فكرة إنقاذ إسرءيل والعودة إلى صهيون، مثلها مثل فكرة المجيء الثاني والعصر الألفي، إلى الكتب المقدسة، أي: العهدين القديم والجديد؛ ولكن أكثرية هذه الجذور كامنة، بالدرجة الأولى، في العهد القديم. فهذه الفكرة ظلت، في فكر اللاهوتيين المسيحيين وكتاباتهم، مستندة إلى المشكلات الكامنة في التأويل والنقد الكتابيين. فطوال ما يزيد على ألف سنة لم يكن الفكر المسيحي قد أبدى أي استعداد للاعتراف بإمكانية حدوث عودة يهودية، لأن التفسير الحرفي للكتاب كان، في العصور الوسطى، رُفض، عموماً، لصالح تفسيرات أخرى تبناها آباء الكنيسة، وخصوصاً التأويل المجازي، الذي حظي أيضاً بمباركة الكنيسة الكاثوليكية. إن فقرات العهد القديم التي تشير إلى عودة اليهود إلى وطنهم في المستقبل البعيد وإلى السعادة والاستقرار اللذين سيتمتعون بهما هناك وبين ظهراني الأمم، فُهمت على أنها تنطبق لا على اليهود، بل على الكنيسة المسيحية وأبنائها البررة. فاليهود قد كانوا وقعوا في الخطيئة، والرب قد كان شردهم من أرضهم، وفيما بعد، ما لبث إشفاقاً عليهم، أن أعاد بقاياهم، كما سبق له أن وعد؛ ومع ذلك فإنهم ظلوا، مرة أخرى، مصرين على عدم إطاعته، وفي الوقت نفسه رافضين المسيح الذي أرسله إليهم. وبالتالي فقد نفاهم الرب ثانية، مما أفضى إلى إنهاء وجود الأمة اليهودية إلى الأبد. لم يعد لليهود أي مستقبل قومي، على الرغم من أن كل يهودي كان يستطيع تحقيق الخلاص بين أحضان العقيدة المسيحية بشكل منفرد. وحسب التعاليم المسيحية الاعتيادية فإن النبوءات المتعلقة بالبعث اليهودي كانت، جزئياً، تخص العودة من المنفى البابلي، وقد تحققت. أما الأجزاء الباقية، أي الفقرات المتنبئة بمستقبل مجيد، فكانت، جميعاً تخص (إسرءيل الحقيقية) التي هي الكنيسة المسيحية، الوريثة المباشرة لـ(الكنيسة العبرية) والدين المسيحي. فآيات العظمة والازدهار والبهاء كانت ستعود

إلى هــذه (المؤسســات) دون غيرهــا، عندمــا يبــادر الــرب إلى تحريرها مــن صراعها مع الكفار، وحينما سيســاعدها على الانتشــار بين الأمم، وعندما ســتباشر هيمنتها الجليلة من صهيون على العالم كله.

غير أن التأويل البروتستانتي، منذ أيام لوثر، ومِلَنشتن، وكَلفِن، وتسفنغلي، قد كان أبدى قدراً متزايداً باطراد من النزوع إلى التخلي عن أســاليب التفسير الرمزية والمجازية من أجل تبني موقف (حرفي) يرمي إلى الكشــف عن المعنى الأصلي، العميق والبســيط للنص. كما طُلب من المؤمنين أن «يعودوا إلى الكتاب» بوصفه منبع المسيحية الصحيحة الصافية، وأن يفهموا النص بمعناه البســيط والواضح. ولم يعد أي حد أو قيد مفروضاً عــلى التعليق، وبــات كل بروتســتانتي حراً في أن يغــوص في الكتــاب المقدس، ويحكم بنفســه فيما يخص معنى الآيات، كما في تقديم النص شــفهياً، أو خطياً أو طباعة. وبالتالي فقــد أصبح البــاب مفتوحاً أمام التجديد في نقاط هامة مــن اللاهوت والدين والتفكير البروتســتانتي، كــما في الطــرق العديدة التي تبلــورت حول هذه العقيــدة أو تلك. ومع ذلــك فإن هذه الحرية بالذات ظلت توافر مجالاً لتفســير الكتاب المقدس بروح التراث. وفي كل الأحــوال، هــذا هــو مــا حصل لتفســير النبــوءات. فالعديد من آياتهــا لم تُشرح عموماً وفقاً لمعنى النص الواضح، بل بقي تفسيرها البروتستانتي، من بعض النواحي، يتبع جزئياً التعاليم المسيحية التقليدية إلى يومنا هذا.

وقــد تعرضت فكــرة العودة إلى صهيــون لتأثيرات مماثلة. صحيح أنني لا أســتطيع الجزم بدقة تاريخ الانعطاف في تفســير هذه المسألة وكيفية حدوثه، ولا التحولات التي تعرضت لها التفسيرات إلى أن بدأ المعنى البسيط للآيات يترسخ؛ وهذا الموضوع جدير بدراســة مســتقلة، تكون دقيقة وتفصيلية، لجملة الأدبيات التأويلية من زمن الإصلاح على الأقل (ففي العصور الوسطى كان هناك أيضاً، كما هو معلوم، معلّقون، وخصوصاً مصلحــين مثــل وايكلف وهَسّ اللذين أيدا شرحــاً حرفياً) وهو أمــر لم أحاوله؛ إلا أنه يتضــح، مــن الــشيء القليل الــذي عاينته، أن تفســير النبــوءات الدائــرة حول خلاص إسرءيــل وبعثهــا حرفياً طالمــا اعتُبر تجديــداً مقلقاً، وانحرافــاً كبيراً عــن التقليد. فحتى قبــول كلام القديس بولس «يخلِص جميع بني إسرءيــل...» (رومة 11 : 26) بمعنى أن جميع اليهود (ســيدعون) (أي ســتتم هدايتهم) ولكن حتى هذا لقــي مقاومة. ففي عام (1610م) كتــب الباحث المحافظ هيو بروتن يقول: «إن المســيحيين بالاســم شــديدو

الميل إلى معاداة ذلك الإلحاد المكشوف بصورة شبه كاملة». ولعل جدة مثل هذه القضية الهامة والمثيرة بالنسبة إلى المسيحية بالذات كانت سبب التردد في قبولها، إما جزئياً، أو كلياً على الأخص. وقد يفضي المزيد من البحث إلى الكشف عن أن قوة التقليد لم تكن وحدها مسؤولة عن الحيلولة دون قبول النظرة الجديدة. فلربما كان السبب الحقيقي متمثلاً في عزوف حتى لاهوتيين ومعلقين بروتستانت عن إعطاء أي دور لليهودية في المجابهة مع المسيحية. والمزيد من إمعان النظر قد يفضي إلى اكتشاف أن التحاملات الدينية على اليهودية وانحياز هذا المؤوِّل أو ذاك ضد اليهود، أو (كراهيته اليهود) كما كتب الألفي روبرت مِيْتَن في الخمسينيات، آراء ومشاعر كانوا عاجزين عن التغلب عليها؛ ربما كانت هي المسؤولة عن الإخفاق في تبني التفسير الجديد. وبالفعل، كيف كان المرء يستطيع تصور أن اليهود الذين رفضوا المسيح واضطهدوه وأنزلوا به عقاب الموت، أولئك المكروهون والمحتقرون (مثل ذلك الشعب الفقير المتسول) الذي كان ماثلاً، أمام عيني المؤوِّل، يعودون، كما جاء في المعنى البسيط للآيات، للعيش مرة أخرى على ترابهم في الأراضي المقدسة، مسيطرين بوصفهم أمة جبارة ذات كبرياء، ومن خلال فضائلهم بالذات تحديداً، كما بدت بعض النبوءات موحية، كانت بركات غير مسبوقة ستنزل على العالم؟

ومن غير المستبعد أيضاً أن الاعتراض على فكرة البعث اليهودي أو العداء لها ربما نشأتا من الموقف من المجيء الثاني والعصر الألفي. فهاتان المسألتان تنتميان، كما سبق لنا أن رأينا، إلى ميدان الإيمان بالأخرويات وكل منهما مرتبط بالآخر؛ ومنذ عصر الإصلاح، وبقدر ليس أقل، بالفعل، مما في تاريخ المسيحية عموماً، ظلت مسألة العصر الألفي مشكلة شائكة. صحيح أن فكرتي العصر الألفي والبعث ربما عولجتا بطريقة أكاديمية خالصة، ولكن نتائج مثل هذه الدراسة على أساس أي تفسير حرفي، كان من شأنها أن تتمخض عن تعزيز المواقف الأصولية، كما أثبتت التجربة، وخصوصاً مواقع الطوائف الألفية التي نمت نتيجة فهم متطرف البساطة للكتاب. فهذه الطوائف قامت عموماً، كما هو معروف، بإلحاق الضرر بالحركة الإصلاحية في بعض البلدان، كما أثبتت، في ظل الحكومة (البيوريتانية) أنها عنصر شديد الإزعاج على الصعيدين الاجتماعي والسياسي. وبالتالي فإن العواقب العملية لدراسة كهذه أصبحت آنذاك شديدة الوضوح بالضرورة بالنسبة إلى التنظيم الهرمي الكنسي (الذي كان، لأسباب

أخـرى أيضـاً، معارضـاً لإكثار الـكلام حول مسـائل يوم الحسـاب، والمجـيء الثاني، والعـصر الألفـي) وآخرين من الطينة ذاتها، بمن فيهم قـادة بعض الطوائف المعارضة. وبالتـالي فـإن هـؤلاء لم يكتفـوا بزعم عدم جـواز الانغـماس في التأمـلات الإيمانية، بل فضلـوا تبني التفسـير القائل بـأن المجيء الثاني وملكوت السـماء الموصوفـين في العهد الجديد لن يكونا جسـدياً أو مادياً، بل روحياً. والشيء نفسـه كان صحيحاً بالنسـبة إلى بعث إسرءيل. فالآيات ذات العلاقة لم تعن أية عودة مادية إلى فلسـطين على الإطلاق. ومـا كان في أذهان الرسـل والأنبيـاء لم يعد كونه رجوعاً إلى الرب فحسـب، ونوعاً من الإحياء الروحي. وبالتالي فإن واحداً أو أكثر من هذه الأسـباب ربما كان مسـؤولاً عن رفض المحاولات الرامية إلى ابتداع تفسير جديد فيما يخص بعث اليهود. غير أن اهتمامنا ليـس منصباً، على أيـة حال، على معارضة الفكرة، بل على بـروز تصور جديد وتجذّره، ونموه اللاحق في إنجلترا.

ربـما كان آنـدرو ولِّـت الباحث الكتـابي الإنجليـزي الأول الذي أطلق هـذا التيار الجديد في دراسة بحثية منشورة في عام (1590 م) مخصصة حصراً لمسألة هداية اليهود. ففي معرض التعليق على سـفر رومة (11: 25-25) كان كَلفِن (شـأنه شأن مِلنتشتن) ميـالاً إلى اعتـماد التفسـير الأغسـطيني، منكراً الخـلاص على أكثريـة اليهود السـاحقة وقائـلاً: «إن بعـض اليهود سـتظل هدايتهم واجبة باسـتمرار... إلى يـوم القيامة». غير أن بعضـاً من تلامذته وأصدقائه كانوا يرون عكـس ذلك. ومن الواضح أن ولِّت حذا حذوهم، معولاً، بين الحين والآخر، على مرجعية بعض الأدباء. فهو يبيّن اسـتحالة أن يكـون القديس بولس قد عنى يهود أفراداً حين قال: «... يخلِص جميع بني إسرءيل...» والسـبب الذي يوجب فهمه على أنه كان يفكـر في (أمة اليهود كلها) ويرى أن إسرءيل يجـب «فهمهـا بالمعنى الحرفي على أنهـا تعني أمة إسرءيل وشـعبها». وبالتالي فإن «دعوة اليهود وبعثهم» يمكن توقعهما. «فقرب نهاية العالم، قبل مجيء المسـيح، سـتتم دعوة أمة اليهود»؛ إلا أن ولِّت لم يكن مستعداً لأن يسير إلى ما هو أبعد من ذلك في ميدان التفسير الحـرفي للنبوءات المتعلقة بمسـتقبل إسرءيل، ولم يتطرق إلى نقطة العودة إلى فلسـطين. غير أن ذلك قد كان يجب أن يكون أصبح مسـألة شائكة. فطوماس دراكس الذي يرى مـع ولِّت أن «الكتلة الإجمالية لليهود عموماً» سـتتم دعوتهـا، يقول، بشيء من التأكيد: «مـن المحتمل ألا يسـتعيدوا أرضهم أبـداً لأنهم لا يملكون وعداً كهـذا». أما طوماس

بريتمَن فقد تبنى الرأي المناقض تماماً. فقد أكد في شرح مستفيض لسفر الرؤيا نشره عام (1609 م) قائلاً: «ما من شيء أكثر يقيناً من عودتهم إلى أورشليم... فالأنبياء يؤكدون ذلك ويشددون عليه بصورة مباشرة في كل مكان». إن اليهود سوف «يعودون إلى وطنهم» والرب سيقوم بـ«إعطاء تلك الأمة... أماكن سكناها حيث كان آباؤها يعيشون». وفي كتاب له عن دانيال كتب يقول: «كل الأنبياء يتحدثون عن عودتهم... لا إكراماً للدين، كما لو أن عبادة الرب متعذرة في الأماكن الأخرى... بل للتوقف عن المجاهدة كغرباء ودخلاء مع أمم أجنبية...».

وهكذا فإن ولِّت وبريتمَن، ربما مع آخرين سبقوهما أو عاصروهما، قد كانا شرعا في إنجلترا يمهدان لاكتساب بصيرة جديدة تنفذ إلى جوهر معنى النبوءات الدائرة حول مصير اليهود. ويبدو أن بريتمَن، خصوصاً، كان مجدداً جريئاً. فقد كتب عنه مترجمه: «لقد حقق قدراً كبيراً من النجاح في تسليط الضوء على رسالة اليهود... في هذه الأيام الأخيرة... لم أر مثله عند أي كاتب. فهو يتجاوز العقبات ويسبح عكس تيار معظم المفسرين». لا غرابة في أن المترجم قد كان «رأى... كلاً من اليسوعيين واللوثريين في الخارج، كما البروتستانت في الداخل، على المنابر كما في الأحاديث الخاصة، وهم يصبون جام انتقاداتهم الحانقة على هذا... الرجل». غير أنه كان واثقاً دون أدنى شك من أن: «الرب كشف له الشيء الكثير ومكنه من النفاذ إلى أعماق تلك المقاطع الغامضة المظلمة أكثر من العديد من عباده «عباد الرب» الأعزّاء، حتى بات، ربما، قادراً على كشف النقاب عنها أمام الآخرين».[24]

إلا أن أول من جعل المسألة موضوع كتاب مستخلصاً استنتاجات منطقية متكاملة من تعاليم بريتمَن، وساعياً، بصورة منهجية، إلى حل المشكلات الكامنة في التفسير الجديد هو عميد عائلة مرموقة، وعضو برلماني، ومرجع ثقة في القانون يدعى سير هنري فِنتش الذي كان يعرف اللغة العبرية، وقد كتب بحوثاً عديدة في القانون واللاهوت، وقام بوضع قواعد تفسير النبوءات الدائرة حول الأيام الأخيرة. كتب يقول: «حيثما يتم إيراد أسماء إسرءيل، ويهوذا، وصهيون وأورشليم «في الكتاب» فإن الروح القدس لا يعني إسرءيل المعنوية أو كنيسة الرب المؤلفة من الأميين أو من اليهود والأميين على حد سواء... بل إسرءيل المتحدرة حقاً من صُلْب يعقوب. والحكم نفسه يجب اعتماده فيما يخص عودتهم إلى أرضهم ومرابعهم القديمة، وفيما يخص دحر أعدائهم... وفيما

يخص بسط سلطانهم على القاصي والداني. فهذه الأمور وما هي مثلها ليست صوراً مجازية تبرر آيات الشبه والخلاص عن طريق المسيح «حيث كانت أنماطاً وأشكالاً» بل كانت تشير فعلاً وحرفياً إلى اليهود». كان من المتعذر اجتراح عبارات أوضح وأكثر صراحة للتعبير عن أن «الروح الهادف دائبة على حجب كل هذا البنيان... علينا أن نؤكد ونعلن أنهم سيعودون ثانية إلى أورشليم ذات يوم، سيصبحون ملوكاً وزعماء للأرض، وسيسودون الجميع ويحكمونهم، لمجد المسيح...». ويتابع فِنتش ليؤكد أن هناك، بالفعل، مؤشرات دالة على أن الرب كان عازماً على هداية اليهود وبعثهم في المستقبل القريب «لا... كعدد قليل يتم اختيارهم هنا وهناك، بل... الأمة بصورة عامة» كما قال القدّيس بولس. «مع أبناء الأسباط العشرة فضلاً عن باقي سائر اليهود» كما تنبأ حزقيال، وهوشع، وإرميا، وإشعيا، وعوبديا. «سيتوجهون إلى وطنهم» ... «سيعيشون في وطنهم... سيشغلون كل أجزاء الأرض، وكما من قبل... سيعيشون في أمن... سيستمرون فيها إلى الأبد» ... «... سوف يقومون، جميعاً ببناء ممالك متكاملة ورابطة بالغة الازدهار... «و» كل الأمم ستعبر لهم عن آيات الاحترام» كما تنبأ بذلك حزقيال، وهوشع، وصفنيا، وإشعيا، ودانيال والقديس يوحنا.[25]

وفي سبعينيات القرن الثامن عشر أفرد كاهن منشق، قرأ كتاب فينتش، على ما يبدو، يدعى ساموبل لي، مقالين في الموضوع نفسه. فهو أيضاً يعترض على المحاولات الرامية إلى تفسير نبوءات البعث تفسيراً روحياً أو صوفياً «غامضاً» ويقدم حججاً كثيرة مصحوبة بالعديد من الآيات للبرهان على أن ما كان مقصوداً هو «إسرءيل الطبيعية... أمة مميزة»؛ وخاصة «إسرءيل القومية»؛ «الإحياء القومي لإسرءيل» و«عودة بني إسرءيل إلى أرضهم». أما إذا كان الشراح التقليديون قد فسروا النبوءات على أنها تنطبق حرفياً على منفيي بابل وإعادتهم، فإن النبوءات غير المحققة كان لا بد لها، كما يزعم، من أن تلقى «المعاملة نفسها» بصورة واضحة. فبعض النبوءات قد كانت تكهنت ليس فقط بأن اليهود كانوا «سيعادون إلى أرضهم» بل بأنهم «لن يزاحوا منها أبداً»؛ غير أنهم ما لبثوا أن تعرضوا للنفي مرة أخرى بعد عودتهم من بابل؛ وبالتالي فإن عودة كاملة وأخيرة «ما زالت تنتظر التحقق». وإذا «كان فم الرب قد نطق» فمما لا شك فيه أن تلك النبوءات لا تعني سوى أن إسرءيل كانت مرشحة لأن «يتم إحياؤها في أرضها». فاليهود «عائدون... بالتأكيد إلى أرضهم القديمة» و«وارثوها إلى الأبد». إن «إسرءيل

ويهوذا ستكونان مملكة واحدة في أرضهما القديمة» في «حالة مجيدة جداً على الصعيدين الروحي والزمني».[26]

كما يرى جوزف مِهْد (أو مِيْد)، الذي يعدّ أحد عظماء الباحثين الكتابيين الإنجليز في القرن الثامن عشر، أن الآيات المكتوبة بلغة سهلة لا يجوز تفسيرها على أنها رمزية. غير أنه لم يفرد أي عمل، بصورة حصرية، لبعث اليهود. لقد كان فِنتش و(لي) من عتاة الألفيين. أما مِهْد فقد ظل، رغم نزوعه الواضح إلى المذهب الألفي، متأثراً ببريتمَن، متحفظاً وحذراً، كما تجنب معالجة موضوعات الأيام الأخيرة تحديداً، في مؤلفاته الأكبر المنشورة في حياته. ومع ذلك فقد كان متعذراً على من أفاض في الكتابة عن سفري دانيال والرؤيا تحاشي المسألة كلياً. ففي هذه الكتابات، كما في بعض الأعمال والرسائل الثانوية المنشورة بعد وفاته، ثمة بضع جمل تلامس هذه المشكلة فضلاً عن بعث اليهود. وعلى الرغم من أنه لا يبدو ميالاً إلى تأكيد العودة الجسدية، فليس ثمة أدنى شك في أنه قبل المعنى الحرفي للجمل ذات العلاقة. لقد كتب: «اليهود... سيتمكنون من استعادة الأرض المقدسة» كتعليق لفهمه الرؤيا. وبعبارات أعم، كتب في الكتاب نفسه عن «زمن قيام ملك القديسين ببسط سلطانه على العالم كله، وتحقق ذلك الوعد المجيد الخاص ببعث إسرءيل». وفيما بعد، في مناسبة أخرى، بادر إلى تقديم تفسير أعمق وأوضح. فقد سئل في رسالة عما إذا كان دانيال (11 : 44) يشير إلى اليهود عند الكلام على: «... أخبار من الشرق والشمال تقلق ملك الشمال» الذي كان متمثلاً بالأتراك. وفي رد كتبه مباشرة قال مِهْد: «إن عودة اليهود هي المقصودة... فالأخبار الآتية من الشرق والشمال ربما كانت أخبار العودة إلى يهوذا وإسرءيل من تلك البقاع». وأضاف: «إن تأكيد استعادة إسرءيل من الشمال كان يمكن العثور عليه في سفر إرميا» (16، و23، و31). وفيما يخص «عودة اليهود» من الشرق أحال مراسله على سفر رؤيا يوحنا (16 : 12) القائل: «وسكب الملاك السادس كأسه على نهر الفرات الكبير، فجف ماؤه ليكون ممراً لملوك الشرق»؛ وما هؤلاء الملوك، كما سبق لبريتمَن أن شرح بصورة عامة، إلا الرمز النبوئي الدال على اليهود. وهذا كله، جنباً إلى جنب حملة أو اثنتين متشابهتين لم يكن بالشيء المفرط في الكثرة. غير أن ذلك، مضافاً إلى النزر اليسير الذي كتبه عن طبيعة الأيام الأخيرة، كان، ينطوي على قدر كبير من الأهمية، ليس فقط بالنسبة إلى الألفيين وذوي الميول الألفية، بل فيما يخص معلّقي المستقبل والأنغليكان عموماً.[27]

نظراً لصدوره عن مثل هذا المرجع الثقة في علم التأويل.

ومن بين الذين تبنوا منهج تفسير مِهْد، جنباً إلى جنب مع مجمل نظرة أسلافه الجديدة إلى الموضوعة اليهودية، كان بيير جوريو الذي قام بإغناء التصور الجديد للبعث المستقبلي وتعزيزه في كتاب «تحقيق نبوءات الكتاب المقدس». ففي هذا البحث الكبير قدم شرحاً جلياً، ودقيقاً ومطولاً لسفر الرؤيا بوصفه كتاباً يقدم صورة تاريخ الجنس البشري (الدائر حول تاريخ الكنيسة) خلال فترات الوحش الرابع: مملكة روما التي هي المسيح الدجال، والمملكة الخامسة التالية التي هي مملكة القديسين. وإحدى أقوى حججه إقناعاً بأن هذه المملكة الأخيرة ستنشأ آخر المطاف هي الكثرة من «الوعود العظيمة» التي قطعها الأنبياء لليهود حول مملكتهم في أعقاب عودتهم إلى فلسطين: «بركات خارقة للعادة، سيادة على الأرض، ازدهار ستراه الأمم كلها، ارتقاء إلى مملكة تضطر سائر الأمم إلى تقديم آيات الاحترام لها». ويؤكد أن الزعم بأن تلك النبوءات تخص الكنيسة القائمة وأنها ستتحقق بوساطة هذه الكنيسة الموجودة، لا يقوم على أي أساس، لأن الكنيسة القائمة لم تنهض بين صفوف اليهود، بل بين الأميين. وبالتالي فإن «هذه التكهنات... التي لم تتحقق بعد منذ مجيء المسيح» ما تزال تنتظر التحقق عبر مصائر الأمة اليهودية كلها. «إن مملكة المسيح والقديسين «الواردة في سفر رؤيا يوحنا (21-22)» هي تلك المملكة التي ستُمنح للشعب المقدس» فيما يرى دانيال، و«في أسلوب الأنبياء لم يكن ثمة أي شعب مقدس آخر سوى شعب إسرءيل. وبالتالي فإن اليهود سيكونون العنصر الرئيسي في المملكة الخامسة». ويضيف أن اليهود كانوا على حق في ادعائهم بأنهم كانوا موعودين بالمسيح، وبأن خطأهم الوحيد هو رفضهم الاعتراف به. غير أنهم حين «يجتمعون في بلدهم» سيعترفون به مثلما فعل القديس بولس الذي أنكره وكرهه في البداية ولكنه ما لبث أن اعترف به آخر الأمر تماماً، كما سبق لِمِهْد أن أوضح. فإن « مملكة المسيح ونظيرتها العائدة لليهود لا بد لهما من أن تقوما في الوقت نفسه». و«سائر نِعَم» السلام السائد: المعرفة، الازدهار والمجد ستتحقق، إذن، بفضل اليهود».[28]

(5)

بدأت فكرة بعث اليهود، إذاً، تترسخ بفضل فِنتش وساموِيل لي اللذين جعلا منها، عبر تبني شرح بريتمَن، موضوعاً قائماً بذاته، ويبدو أنهما مهدا للزعم القائل بأن عودة حقيقية جسدية لمجمل أمة يهود الشتات ستتم، وبفضل بيير جوريو الذي يبدو مقدماً ما يمكن اعتباره حججاً موفورة، مقنعة تبين، وهو أمر أورده في الحقيقة بإيجاز كل من فِنتش ولي، الرسالة والمكانة المميزتان المخصصتان لليهود في إقامة مملكة القديسين وما بعدها. ويبدو أن جوزف مِهْد الذي كان يعتبر معلقاً محترماً مضفياً ختم المرجعية، بصورة مباشرة وغير مباشرة، على مجمل التصور الجديد. كما ويبدو أن كتلة كبيرة من الأدبيات الدينية الألفية جزئياً، جنباً إلى جنب مع المعتقدات والتوقعات الألفية ذات الانتشار الواسع خلال حكم (البيوريتانيين) وتسعينيات القرن الثامن عشر يجب قد ساهمت في ترسيخ فكرة البعث اليهودي بقدر أكبر من الثبات. وقد يكون ظهور موقف أكثر اتصافاً بالإنسانية تجاه اليهود عموماً في أوروبا الغربية قد فعل فعله أيضاً؛ على الرغم من أن هذا الموقف ربما انبثق جزئياً من التفسير الجديد للنبوءات المتعلقة بمصير اليهود وأهميتهم في التمهيد لملكوت السماء.[29]

وبالتالي فقد كان من الممكن توقع اختتام النقاش الأكاديمي الدائر حول هذا الموضوع مع حلول نهاية القرن الثامن عشر. غير أن الموضوعات الدينية والإيمانية تبدو متعذرة الحل بشكل نهائي، أو البقاء هادئة لفترات طويلة. غير أن الجدل حول الإيماني بوجود الرب لم يكن أقل من الانتعاش الديني الذي أعقبه في تحمل المسؤولية الأولى عن إعادة إثارة النقاش من جديد. فالمؤمنون بوجود الرب هاجموا، كما هو معلوم، الدين الموحى به عبر دحض، ليس فقط صحة المعجزات، بل مصداقية التنبؤ أيضاً، متّخذين الإيمان بأن الأنبياء اليهود قد كانوا تكهنوا بمجيء يسوع، ومقوّضين، بالتالي،

أساس المسيحية نفسها بالذات. ولم يقف الكتاب المتدينون الذين احتشدوا واستنفروا للدفاع عن عقيدتهم عند حدود السعي إلى إظهار أن نبوءات معينة في العهد القديم قد كانت تحققت بالفعل عبر ظهور المسيح فقط، بل حاولوا أيضاً إثبات أن مقاطع من «سفري» دانيال والرؤيا تكهنت بأحداث ما لبث أن وقعت بعد وفاة يسوع. وبالطبع لم يكن في هذا أي جديد، فقد اكتسب منهج الكشف هذا أهمية جديدة وزخماً إضافياً من الجدل نفسه بالذات، كجَراء ظهور بعض الأدلة الجديدة التي أبرزها النقاش، ومن تطبيق أوسع لآيات في دانيال والقديس يوحنا على أحداث تاريخية خلال عصور حديثة وصولاً إلى سني حياة المؤلف نفسه عموماً. وبالتالي فإن النقاش ما لبث، بالطبع، أن راح يأخذ في حسابه أيضاً، كلاً من الأيام الأخيرة: المجيء الثاني، العصر الألفي، وبعث اليهود. من المؤكد أن بعض الكتاب حرصوا على عدم المبالغة في الغوص في بحر تأملاتهم، مفضلين الإذعان لنصائح وتوصيات معلقين محترمين وكذلك مع إسحاق نيوتن في مؤلفيه عن دانيال والقديس يوحنا، حيث قيل إن على الناس ألا يغوصوا في مجاهل المستقبل الغامضة أو أن (يتكهنوا بأزمان وأشياء) محاولين التنبؤ عن كيفية وصول التاريخ إلى نهايته وكيفية جريان أحداث الأيام الأخيرة؛ فليس على الإنسان إلا أن ينظر في الكتب المقدسة ليستكشف ما إذا كانت الأحداث الجارية حالياً تؤكد صحة النبوءات. وبالتالي فإن هؤلاء الكتاب اكتفوا ببعض العموميات، قائلين إن تحقق النبوءات المتعلقة بالمسار الرئيسي للتاريخ وافر، إلى الآن، ضمانة موثوقة حول كونها ستتحقق فيما يخص كلاً من المجيء الثاني، والبعث اليهودي، والأيام المباركة للعصر الألفي بالنسبة إلى المؤمنين الصادقين.[30]

كان ثمة، بالمقابل، كتّاب لم يقتنعوا بالعموميات والتلميحات المستقبلية المجردة. وفي غمرة حماسهم للدفاع عن الديانة والنبوءة المكشوفتين في مواجهة المؤمنين بالرب والعقلانيين، قدموا شروحاً واسعة ومفصلة لنبوءتي الرؤيا ودانيال الدائرتين حول المستقبل والأيام الأخيرة بما في ذلك هذه الأيام، مكثرين من التأملات حول الأحداث المصاحبة لنهاية الحقبة الراهنة، وحول الكيفية الدقيقة لوقوع البعث اليهودي: المجيء الثاني، والعصر الألفي. ومن المؤكد أن بعض هؤلاء الكتاب قد انجروا وراء إيمانهم العميق وحماسهم الشديد. في حين أن آخرين ربما فعلوا ما فعلوا عن قصد، في سبيل إعلاء شأن قضية الدين وتعزيز رسوخ الجمهور المؤمن في عقيدته، كما كانت الحال

بالنسبة إلى الأسقف طوماس نيوتن الذي صدر مؤلفه عن النبوءات في طبعات عديدة، بعد أن باتت مقروءة على نطاق واسع من قبل الأنغليكان، ومعتمدة بشدة من قبل الألفيين، حسب أقوى الاحتمالات.[31]

وبالنسبة إلى الكتاب المعتدلين والأكثر حماساً، على حد سواء، بقي الموضوع اليهودي منطوياً على أهمية خاصة، نظراً لأن مصير اليهود منذ فترة الهيكل الثاني، وبشكل أكثر تخصيصاً، خلال الشتات، ظل دليلاً حاسماً على النبوءة. ما من حاجة دعت لأية محاولة لقسر معنى آيات واضحة وجلية بغية إظهار حقيقة أن الأنبياء برهنوا على أنهم كانوا صادقين تماماً في تنبؤهم بالأسر البابلي والعودة إلى فلسطين، وبالتدمير الثاني للقدس، وبالشتات وبوضع اليهود الذليل بين الأمم. ويبدو أن هذه الحقيقة الهامة جعلت الأحكام المتعلقة بتحقيق النبوءات الدائرة حول مصائرهم في المستقبل البعيد أكثر إقناعاً. الحقيقة كانت واضحة والنقاش استمر؛ وقد قام القس رِتْشَرْد هِرْد بطرح هذا القول ببلاغة فائقة، إن الحقيقة المذهلة المتمثلة بأن اليهود، رغم تشتتهم الواسع وعمليات الاضطهاد الرهيبة التي تعرضوا لها على امتداد عشرات الأجيال، قد اندمجوا بغير اليهود، لم يكونوا قد تلاشوا، بل ظلوا ونجوا بوصفهم أمة منفصلة، واحدة، ليست قابلة لأن تكون محض مصادفة «فهذا كله ينطوي على شيء استثنائي مذهل لن تستطيع المبادئ العامة للطبيعة البشرية أن تفسره بسهولة». من المؤكد أن الرب كان يرمي إلى هدف معين في كل هذا الذي لا يسعه إلا أن يكون ما قد كان قاله من خلال أنبيائه عن مصيرهم في الأيام الأخيرة لدى قيامته بتجميعهم من سائر أقاصي العالم وإعادتهم إلى أرضهم القديمة وإليه بإيمان صادق. ومن خلال تحقق هذه النبوءات فإن مملكة القديسين والعصر الألفي الذي طال انتظاره سيقومان.[32]

من المؤكد أن الجدل بخصوص الإيمان بوجود الرب قد ساهم في إحداث نهضة الأربعينيات الدينية. فهذا، جنباً إلى جنب مع نمو الحركات المُثُديَّة والأنغليكانية، ما لبث أن أدى إلى توسيع أبعاد الأدبيات الدينية، كما أدى إلى تشجيع طرح تفسيرات جريئة للكتب المقدسة. وبعد أن استمد التيار الألفي زخماً جديداً من التأويل الجديد الذي وافر قدراً من التكريس والتسويغ لتأمل أحداث الأيام الأخيرة ولاحتساب الأزمنة، بدأ يبرز ثانية، مدعماً، بدوره، تفسير النبوءات طباعة، ووعظاً ومناقشات، ببعض الحجج المعقولة والإيمان الحماسي. فمحافظو الكنيسة القائمة الكفاحيون

أصدروا سيلاً من المحاضرات، والمواعظ، والكراسات والتعليقات في محاولة منهم للبرهنة على عدم وجود أي أساس للتأكيد، والإيمان بأن فهم العصر الألفي وبعث اليهود وتحققهما كانا مقصودين بالمعنى المادّي، الأرضي. وهكذا فإن الجدل حول العودة اليهودية قد كان استؤنف.

(6)

حـين نشر جوزف آير كتابه: «ملاحظات عـلى النبوءات الدائرة حول بعث اليهود» في عـام (1771 م) بـدا أنـه كان أول مـن قـام في القـرن الثامن عشر بنـشر مقال بحثي شـامل دفاعـاً عن هـذا التصور بالـذات. وإذا كان فهـرس مراجع واط جديـراً بالثقة، فـما من عمل، باسـتثناء واحـد، ظهر عن لموضـوع خلال الأعوام الأربعـين الأولى من ذلـك القرن. أما عبر الأربعينيات وأوائل الخمسـينيات فيجري تسـجيل حوالي نصف عشريـة مـن الكتب، مع كتابين اثنين في عقد السـتينيات. من المؤكـد أن عدداً غير قليل مـن الكراريـس الأصغر، والمواعظ خصوصاً، لا بد أن تكـون قد طُبعت، ولكن ربما لم يطلـع واط عليهـا. من المؤكد، مرة أخرى، أن الموضوع عولج أو أُشـير إليه، بهذا القدر أو ذاك، في سلسـلة من المحـاضرات والكتابات حول النبوءات، في مؤلفات شـارحة، وفي الجـدل المحتـدم مع المؤمنين بالرب (كـما في كتب ماتيو هنري، والدكتور سـامويل كلارك، والقـس لـوث، وإسـحاق نيوتـن، ووليم وسـتن، والقس كلايتـون، والقس طومـاس نيوتـن، مثـلاً). ولكن، على العمـوم، لم تعمد كتب كثـيرة إلى تخصيص مكان مسـتقل للموضوع خلال مدة السنوات السبعين كلها، أما الكتب المؤلفة له حصراً فقد كانت حتى أقل من ذلك. وكانت معظم هذه الأخيرة كراريس عالجت صراحة مسـألة إعـادة (اليهود والأسـباط العشرة) إلى فلسـطين، غير أنهـا كانت، إجمـالاً، مكتوبة على عجل، وبقدر كبير من (الحماس).

لكـن لا بد من اسـتثناء الدكتـور طوماس برِنت الـذي جاء مقالـه منطوياً على قدر من الوزن. إن همه الرئيس كان يتمركز على مسـألة البعث، مما قاده إلى مناقشـة مسـتقبل العصر الألفي بالتفصيل؛ وما لبث هذا، بدوره، أن أوصله إلى «المسألة الشهيرة المتمثلة بالمكانـة التـي سيشـغلها اليهـود في ملكوت المسـيح». فقـد راح يغـوص في عمق هذه

«المسألة ذات الأهمية البالغة» وبات مقتنعاً بأن «وعود المسيح ومملكته جرى تقديمهما أولاً إلى اليهود» كما يفهم من أية قراءة حرفية معقولة للنصوص المقدسة. فهو يزعم أن أرض كنعان منحها الرب «للإسرءيليين، من البدايات الأولى لتلك الأمة، إرثاً أبدياً» و«لا بد لهم من أن يتمتعوا على الدوام بملكية عادلة لتلك الأرض بصرف النظر عمن يمكن أن يكونوا واضعين أيديهم عليها». فموسى والأنبياء، كباراً وصغاراً، كرروا وعد اليهود بنوع من البعث «بفضل الهبة السماوية – الإلهية»؛ كما أن يسوع اعتبر نفسه ملك اليهود الأرضي «الدنيوي». وبما أنه لم يسبق له أن سادهم من قبل، فمن المؤكد أن هذا الملكوت محكوم عليه بأن يقوم. وهو أمر لن يلبث أن يتحقق حين تصبح الساعة المحددة لاستعادة إسرءيل ويهوذا قد أزفت حيث (يحصلون ثانية على أرض أجدادهم).

من الطبيعي أن محاكمة بِرنِت ورشقة البراهين التي أطلقها كانت منطوية على بعض الأهمية في ترسيخ الفكرة القائلة بنوع من البعث المادّي لليهود. وما يبدو أنه كان أكثر تأثيراً هو شجبه المقنع البليغ أولئك المفسرين الذين دأبوا باستمرار على إنكارها. فهو يشير، مبيناً بالإفادة من أمثلة صارخة، ما يجب أن يكون منهجاً صحيحاً لشرح النبوءات الدائرة حول الموضوع، إلى «الممارسة التي يبالغ المفسرون في الإكثار من تكرارها» حين يفسرون «تلك النعم المستقبلية المتكهن بها حرفياً... لصالح اليهود «بوصفها» نعماً مجازية في الحقيقة، نعماً مرشحة لأن تتحول إلى الكنيسة المسيحية». غير أن برنِت يرد بقوة، عائداً إلى هذه الحجة مرة بعد أخرى، قائلاً: «يبدو من غير المعقول تماماً أن ننقضّ نحن على جميع تلك النعم والخيرات... ونترك سائر النبوءات المشؤومة لليهود». «... بأي حق يجري استبعاد اليهود من المشاركة... في تلك الوعود التي وصلتنا من أفواه الأنبياء اليهود الذين كانوا يوجهون كلامهم إلى اليهود؟ مؤكداً انه كان جديراً بالأنبياء أن يهتموا بشؤونهم في المقام الأول وينبهوهم إلى الأحداث المستقبلية، المفعمة بالازدهار منها والمشحونة بالبلايا والمصائب على حد سواء. وأحياناً تكون كلماتهم وعباراتهم ذاتها دالة على قضية بعينها، كما عند قيامهم بإيراد ذكر أبناء إسرءيل بالاسم، أو حديثهم عن أرض كنعان أو... القدس، أو الأسباط العشرة، عن بيت داود، أو ما شابه. لا يجوز قسر هذه الأمور وتحميلها معاني متناقضة للدلالات الأصلية للكلمات ودون أية مرجعية». «... إضافة إلى هذه النبوءات الصادرة عن قدماء الأنبياء والموجهة

إلى اليهـود حول بعثهم لدينا العديد «منها» في العهد الجديد التي... تتفق وتتناغم معها كلياً». «علينا أن نعلم... أكان المسيح يعني ما يقوله حرفياً أم يسوق كلامه بمعنى مجازي حين قال لبيلاطس إنه ملك اليهود؟ جرى تناول المسألة بمعنى حرفي، وهل كان رد المسيح ملتبساً؟ بالتأكيد لا، بل بالمعنى الذي قصده حين أعلن نفسه على أنه المسيح، بالمعنى نفسه الذي رمى إليه حين قال إنه كان ملك اليهود، وفقاً لنبوءات الأنبياء حيث يتم الربط بين هذين الأمرين». يكتب برنت مخاطباً («المجازين» بحماس): «إنكم تقومون بنسف الأسس بالذات إذا أكدتم أن هذه النبوءات «المتعلقة بسيادة المسيح» لا تتضمن أي شيء هام وخاص عن اليهود. وبهذه الطريقة تقومون ليس فقط بقسر نبوءة بعينها، بل تقفون ضد مجمل سيل الكتابات النبوئية». «ما من وعد يتكرر في العهد القديم... أكثر من ذلك المتعلق بضمان بقاء اليهود وبعثهم المستقبلي».[33]

إن أولئك الذين كتبوا عن الموضوع فيما بعد لا يأتون على ذكر بِرنِت. فقد ظل في حياته ولبضع سنوات بعد موته، يُعتبر غير أرثوذكسي لدى الهرم الكنسي «لم يكن كاهناً بحق ولم يؤمن بالمسيحية إلا بشكل منقوص» كما وجد ماتياس اربري، أحد مترجميه، من الضروري أن يشير في الملاحظات الملحقة فيما يخص آراءه حول البعث والعصر الألفي. أضف إلى ذلك أن الكتّاب قلما يبدون ميلاً إلى ذكر أسماء المؤلفين (الثانويين) كمصادر أو مراجع لهم. غير أن هناك مؤشرات واضحة على أنه كان مقروءاً، وعلى أنه مارس، بنظرته إلى موضوع البعث، تأثيراً ملحوظاً على كل كتاب القرن الثامن عشر الذين دأبوا على نشر النبوءات. ومع ذلك فإن قد ظل آير يعتقد بأن العديد من المفسرين كانوا ما يزالون «ضد فكرة العودة المستقبلية لليهود» مما دفعه لأن يبادر، بعد بِرنِت بحوالي أربعين سنة، إلى معالجة الموضوع. وهو، على العموم، يحذو حذو بِرنِت في الشرح، ولكنه أكثر منهجية وتركيزاً في مناقشته؛ وعلى الرغم من انشغاله القلبي الواضح، فإنه يظل على الدوام بارداً، متحفظاً، دون أن يعبر عن قدر قليل من الحماس إلا نادراً.

وبزعم جوزيف آير كان أكثر الكتّاب، في اثنتين من القضايا الأساسية، على خطأ في تفسير «النبوءات المتعلقة ببعث اليهود والأسباط العشرة والحالة السعيدة اللاحقة لتلك الأمة». وكان الخطأ الأول أن هذه النبوءات دارت جزئياً حول العودة من بابل؛ والثانية أنها كانت تصح من ناحية أخرى، مجازياً، على الكنيسة الموجودة التي هي

ملكوت السماء الذي دشنه يسوع. فالكنيسة الموجودة، وإن كانت ملكوت الرب حقاً، ما زالت في مرحلتها الكفاحية، وهي «لا تناسب على الإطلاق» كما يعلم الجميع علم اليقين، الشروط السعيدة التي تنبأ بها القديس يوحنا وأنبياء آخرون. فما تحدث عنه هؤلاء كان ملكوتاً «لا يشبه حاله حال أي كيان مسيحي ظهر إلى الوجود حتى الآن». إنها المرحلة الثانية من ملكوت الرب، مرحلة الكنيسة المظفرة. فهذه المرحلة المرشحة لأن توافر السلم المطلق، والهدوء، والنعيم للجنس البشري، لا بدّ لها، إذن، من أن تكون ما زالت تنتظر التحقق، لدى المجيء الثاني للمسيح حين يضطلع بالسعادة العليا. والنبوءات الدائرة حول البعث اليهودي تتعلق بهذه الحقبة تحديداً. فسيادة المسيح من جهة وبعث اليهود والأسباط العشرة من جهة ثانية... يجري تقديمهما، مرة أخرى، في الكتب المقدسة، بوصفهما حدثين متزامنين».[34]

وبعد أن تم له بذلك توضيح استحالة توجه نبوءات البعث إلى الكنيسة الموجودة وقيامه بإعادة هذه النبوءات إلى سياق المجيء الثاني، يخطو جوزيف آير الآن باتجاه إظهار حقيقة أنها متعلقة تحديداً بـ«بعث اليهود الحرفي» المستقبلي. ولإثبات ذلك «جمع معظم الأدلة الواردة في الكتب المقدسة» حول انتهاء الشتات، وعودة اليهود إلى فلسطين وظروفهم بعد العودة. وهذه الأدلة مأخوذة من العهدين القديم والجديد على حد سواء، انطلاقاً من الافتراض الطبيعي القائل بأن جميع الأقوال النبوئية كانت مستلهمة من السماء وبالتالي مترابطة داخلياً، ومتداعمة ومتكاملة أحياناً، ومؤكدة بعضها بعضاً على الدوام. والمقاطع الطويلة يوردها جوزيف آير كاملة في تسلسلها التاريخي. حتى يتمكن القارئ بسهولة من إدراك المعنى الكامل لكل نبوءة، مع نثر بعض «الملاحظات التي من شأنها إما أن توضح النص أو ترد على اعتراضات قد تأتي على التطبيق الحرفي لها على البعث المستقبلي للأمة اليهودية» هنا وهناك. ويتابع كلامه بعد ذلك ليبين أن أية نبوءة لم تتحقق قط جزئياً أو كلياً؛ ويتعذر تطبيقها مجازياً، دون إقحام معنى المقطع كله قسراً، على الكنيسة الموجودة؛ وبالتالي فهي متعلقة بصور واضحة بالبعث الحرفي المستقبلي لإسرءيل الحرفية، أو، في حالات معينة، بالمجيء الثاني، ربما حين تكون العودة قد تم استكمالها.

وهكذا يختتم جوزيف آير لدى تعامله مع آيات معينة من الفصل السابع من نبوءة ميخا عرضه، وهذا غيض من فيض الأمثلة على منهجه في العرض، قائلاً: «إن ما وُعد

به أبرَهام هو أن الأرض التي كان يقف عليها آنذاك يجب إن تعطى له ولنسله إلى الأبد». أو لدى إيراد مقاطع طويلة من الفصلين السادس والثلاثين والتاسع من نبوءة حزقيال معترضاً على محاولات تفسيرها مجازياً حيث يسأل: «كيف يمكن لكنائس غير اليهود أو المسيحيين عموماً أن تصبح أمة واحدة في الأرض الممتدة فوق جبال إسرءيل؟» ومن ثم يقول: «هذه هي النبوءة الأطول والأشمل... حول البعث المستقبلي... وإذا لم يكن في الكتاب المقدس كله مقطع آخر... فإن من شأن هذه النبوءة الطويلة الحاسمة أن تكفي لتأكيد البعث المستقبلي... ما زالت تنتظر التحقق عن طريق نوع من البعث الحرفي لليهود والأسباط العشرة». أو، مرة أخرى، يقول معلقاً على الآية الأولى من الفصل الثاني عشر من نبوءة دانيال: «إن العلاقة باليهود واضحة من الكلمات التالية: «في ذلك الزمان سيتم إنقاذ شعبك». فمن يستطيع أن يفترض أن عبارة شعبك، أي شعب دانيال، يمكن أن تعني غير أمة إسرءيل أو يهوذا؟ صحيح أن الكنيسة المسيحية يمكن، فعلاً، بقدر كاف من الصحة، أن يُطلَق عليها اسم شعب الرب... ولكن من المتعذر، بأي من المعاني، اعتبارها شعب دانيال». أو يبادر، أيضاً لدى اقتباس نبوءة دانيال (7: 27) إلى الشرح قائلاً: «إن شعب القديسين ذوي المراتب الأعلى، في سائر الكتابات النبوئية الواردة في العهد القديم يدل على شعب إسرءيل؛ وبالتالي فإن كهانة واضحة تقول هنا إنهم سينعمون بمملكة وسيادة تحت السماء، أي على الأرض، ستكونان مملكة دائمة». أو حين يعلن، مرة أخرى أيضاً، لدى إيراد سفر أعمال (1: 6-7) أن «هذا يبين بوضوح أن الرسل الحواريين أنفسهم كان لديهم توقع بأن مملكة... يهوذا... أو سيادتها... لا بد من أن يتم بعثها وإعادتها للإسرءيليين في وقت من الأوقات. و أن الرب لا ينكر حقيقة ذلك البعث الذي كانوا يتوقعونه، بل يكتفي بالقول إن معرفة الأزمنة والفصول التي ستتحقق فيها هذه العملية لم تكن متاحة لهم. كما لا يجوز تصور أن الرب ما كان سيحاول تصويب الرسل إذا كان هؤلاء قد أخطؤوا في توقعهم».

لا يتطرق جوزيف آير لمسألة الهداية. صحيح أن العبارة ترد مرة واحدة في المقدمة حيث يقول: «يبدو لي أن الموضوع الرئيس لجميع أنبياء العهد القديم... متعلق بالهداية الحرفية لإسرءيل وبعثها» غير أنها لا تظهر ثانية على الاطلاق في البحث. بالطبع لا يجب أخذ الأمر على أنه لم يكن مبالياً بالهداية اليهودية أو لم يكن مؤمناً بأنها ستتم في وقت من الأوقات. فالمسألة لا تعدو كونها ناتجة عن أن الأمر لم يكن موضوع خلاف يحتاج إلى

برهان بين فرسان التأويل البروتستانت. وكذلك لا يجوز افتراض أن البعث كان بنظره منطوياً أيضاً على الهداية، أو أنه استخدم العبارتين على أنهما مترادفتان. وعدم كون الأمر كذلك يتبين بوضوح من الجملة المقتبسة قبل قليل حيث يتم تمييز أحدهما من الآخر. فالبعث بالتحديد، الذي كان يعلم بأن كثيراً من المفسرين تصدوا له، هو الذي سعى إلى إثباته. فما يكرر تأكيده من أول الكتاب إلى آخره ليس فقط إسرءيل الحرفية، مشيراً إلى أن عبارات إسرءيل، نسل أبرَهام، القدس، صهيون يجب ألا تطلق «بمعنى مجازي على المسيحيين أو الكنيسة المسيحية» بل على «البعث الحرفي» أيضاً. وهذا يدل، انطلاقاً من المقاطع المقتبسة والتلميحات المرافقة، على استعادة جسدية، مادية، تحويل فعلي، عودة أرضية إلى وضع قديم للأشياء كان موجوداً قبل تشريد الرومان لليهود وذهابهم إلى المنفى؛ مما يشي بإنهاء الشتات، وتجميع المنفيين في فلسطين، وإعادة ترسيخهم أمة في مملكة تخصهم. أما إعادتهم إلى الإيمان الصحيح، وجعلهم يقبلون بيسوع، وهدايتهم إلى المسيحية، فهي، بنظر جوزيف آير، عمل منفصل ومتميز من أعمال الرب. ويتجلى هذا بقدر كبير من الوضوح حين يقوم بتسليط الضوء على المقاطع الأولى إلى السادسة من الإصحاح الرابع من نبوءة ملاخي التي يربطها بآيات معينة في أناجيل متى، ومرقس ولوقا. وفي ختام عرضه الطويل يقول: من المؤكد أن الرسول الذي سيأتي ليمهد السبيل لمجيء المسيح الثاني سيقوم في المقام الأول، كما قال يسوع بـ «استعادة الأشياء كلها»: «وبعث إسرءيل هو المقصود هنا باستعادة الأشياء كلها». وبعد ذلك «سيوجه قلوب الأبناء إلى آبائهم» أي، برأيه: «سيقوم بهدايتهم إلى عقيدة ذلك المسيح الذي ظل آباؤهم... ينتظرونها».[35]

(7)

مـن المؤكـد أن فكرة العـودة المسـتقبلية التي دافع عنهـا جوزيف آير بهـذه الطريقة البحثيـة كانت تترسـخ وتشـجع آمـالاً في مجيء ثان غير بعيـد. ويبدو أن رجـال الدين المحافظـين، الذين لم يكونوا ميالين لمناقشـة هذه الموضوعـات، علناً على الأقل، أدركوا أنه بات ضرورياً، من وقت لآخر، أن يقدموا ما كانوا يتصورونه وجهة النظر العقلانية حـول الموضوع، متشـككين من (شـيوع فكـرة غير ناضجـة) لكتّاب دأبوا عـلى «إثارة مخططـات خياليـة... عن مملكة كونيـة قائمة على الحق والمجد سـتقوم في الوضع الحالي للعالم». وهكذا فإن لاهوتياً وباحثاً كلاسـيكياً ومشرقياً يدعى الدكتور غْرِغْري شارب قام بعرض التعاليم المسـيحية التقليدية المقبولة القائلة بأن أورشـليم والسـلطة الزمنية اليهوديـة قد كانتا تعرضتا للتدمير مرة وإلى الأبـد، ولن تقوما ثانية. أما الوعود النبوئية المتعلقة بالمسيح فقد تحققت بأكثريتها في المسيح ومملكة الرب التي أوجدها؛ و«القديسون من أعلى المراتب» الذين تحدث عنهم دانيال، والذين كانوا سيملكون ملكوته فيما بعد، لم تكن لهم أية علاقة باليهود، الذين «يطلق عليهم في هذا الكتاب اسـم شـعب دانيال، لا قديـسي الرب المحتملـين». وكانت انتقادات جوزيف آيـر اللاذعة موجهة ضد آراء شارب وأشباهه من الكتاب. والآن، بعد نشر كتابه ببضع سنوات، ألقى رئيس أساقفة وورتشسـتر موعظة في أكسـفورد حاول فيها تقديم «شرح عقلاني متماسـك... يتناغم مـع النبرة العامة للكتـاب المقدس، لموقـف القديس بولس من خـلاص اليهود». وقد توصـل، مكـرِّراً في الحقيقة بعبارات حديثة مـا قد كان بات مقبولاً منـذ عصور طويلة بوصفـه التصور الأغسـطيني، إلى اسـتنتاج يقـول بأن الرب قـد كان نبذ نهائياً «شـعبه المختـار بوصفـه شـعباً». وبالتالي فإن عبـارة بولس «يخلِـص جميع بني إسرءيـل...» ما كانت لتسـتطيع أن تعني «الهداية المسـتقبلية للشـعب اليهودي كله» وإعادتهم السعيدة

إلى مدينتهم وبلدهم بل إنقاذ النخبة ممن سبق للرب «أن كان قد أعدهم للمجد». ثم عبر رئيس الأساقفة عن اعتقاده بأن الطريقة الصحيحة لفهم النبوءات القديمة، إذا كانت «تبدو منطوية على عودة ظافرة لليهود إلى وطنهم» وبالتالي على مثل هذا البعث، هذه الحالة السعيدة للكنيسة المسيحية «وأنبل أشكال المتعة الزمنية والروحية المنبثقة من هذه الفترة البهيجة لتعم سائر سكان الأرض» كما سبق لواحد لم يُذكر بالاسم أن كتب مؤخراً، هي المبادرة «إلى توسيع نطاق اللغة المجازية للأنبياء ورفعه إلى مستوى أعلى من المعنى الروحي بما يمكنه من إلباس الصور الأرضية أثواباً سماوية». وكان هذا يعني عموماً عودة إلى التفسير المجازي للنبوءات الدائرة حول البعث. أما عن مسألة العصر الألفي فقد كان رئيس الأساقفة مستعداً لتقديم التنازلات أمام المعنى الحرفي الدقيق. فالمجيء الثاني والعصر الألفي سيتمان فعلاً بكل مجدهما وبهائهما، حسب ما رأى، ولكن فوق أرض وتحت سماء جديدتين كلياً، كما قال النبي بوضوح. وقد عنى ذلك أن الحدث كان بعيداً مسافة أجيال من الزمن. وعلى أية حال فإن اليهود (بوصفهم شعباً) لم يكن في وسعهم أن يشاركوا فيه: «فاليهود كانوا في الحقيقة... قد أضاعوا كلياً كيانهم القومي مقابل الحصول على نعم العهد الدنيوية الزائلة».[36]

أما إدوارد وِتِكَر، وهو من مرتبة أدنى في المؤسسة الكنسية ولكنه إنجيلي ذو توجهات ألفية على ما يبدو، فلم يكن لديه شيء من ذلك. ففي عمله: أطروحة... حول البعث النهائي لليهود (1784 م) يقول: إن دراسة الكتب المقدسة مكنته من امتلاك جملة من الآراء المختلفة كلياً حول الموضوع؛ وإن: «متابعة الدراسة أكثر... أفضت إلى المزيد من ترسيخ هذه الآراء». وقد رأى أن ليس هناك أية ضرورة لربط موضوع البعث اليهودي بمسألة العصر الألفي الشائكة، ومن الممكن الغوص فيه بصورة منفصلة. غير أن من المفضل اعتبار بيانات الكتاب المقدس الواضحة أساساً له: فـ«المقتطفات التي ستحمل، دونما عبث، معنى حرفياً يجب فهمها كما هي». ويرى أن جميع الأنبياء يشيرون لدى الحديث عن أي بعث مستقبلي، إلى ميثاق للرب مع شعب، لا مع أفراد، وإلى التأكيدات المقدمة له. وعبارة بولس: «يخلِص جميع بني إسرءيل...» لا يمكنها إلا أن تكون منسجمة مع تلك الوعود. وبالتالي فإن هناك «إعلاناً واضحاً عن أن البعث سيكون قومياً». ولابد له أيضاً من أن يكون بعثاً حرفياً، يتحقق لا على أرض جديدة بل «على هذه الكرة الأرضية». فبما أن الرب وعد أبرَهام «كل الأرض التي تراها» (سفر

التكوين 13 : 15) فإن أبرَهام لم يكن بوسعه أن يرى أرضاً على كوكب أرضي آخر.

ويزعم وِتِكَر، بانياً محاكمته على هذه الأرض الصلبة قبل الانتقال إلى المزيد من الحجج، أن هذا «الوعد المقطوع لأبرَهام... هو وعد... مطلق؛ وأن جزءاً من موضوع هذا الوعد تمثل بالامتلاك الدائم لذلك البلد الذي تجوَّل فيه الآباء أنفسهم». إنها «منحة... مطلقة، لن تُقهر أبداً، من الأرض الموعودة لأبرَهام وذريته». وبالتالي فإن هذه الأرض «مضمونة لذرية إسرءيل طوال بقائها... إذا كنا منصفين في المحاكمة». وبعد ذلك يورد وِتِكَر المقتطفات الكثيرة لكل من موسى والأنبياء التي تضمنت «التأكيدات المتعلقة بإعادة نهائية وحرفية لبني إسرءيل إلى الوطن الذي منحه الرب لأبرَهام» مرة بعد أخرى، مشدداً على حقيقة أن «تلك الوعود قطعت بعبارات شديدة الوضوح والبساطة بما لا يترك مجالاً لأي تفسير مجازي». وهو يقول: «إذا لم يكن يتم إعادة اليهود وتمكينهم أخيراً من امتلاك ذلك البلد الذي وعد به أجدادهم بالذات» فإن من شأن ذلك أن يعني: «أن الوعد سيكون باطلاً» وهو أمر يستحيل تصوره لأنه وعد صادر عن الرب. وبالتالي فإن اليهود: «لم يخسروا كيانهم القومي مقابل الحصول على النعم الدنيوية الموعودة» وذلك يجعلهم مرشحين «لأن يتم تجميعهم من الشتات الواسع الذي يعيشون فيه الآن، وإعادتهم إلى وطنهم القديم».(37)

وبعد بضع سنوات عاد وِتِكَر إلى الموضوع اليهودي؛ كما صدرت مجموعة من «الأدبيات اليهودية» في ثمانينيات القرن الثامن عشر، وخصوصاً حول الجدل (المشار إليه من قبل) بين الدكتور بريستلي وديفيد ليفي بشأن النبوءات الدائرة حول المجيء الأول للمسيح، حيث وردت مسألة البعث المستقبلي بصورة عابرة. وما لبث أن أفرز هذا النقاش أيضاً مؤلَّفين كتبهما عميد سَدبروك في لينكولنشاير رِتْشَرد بير تمركز أولهما على معالجة الطبيعة المسيحانية ليسوع، ودعوة اليهود إلى التوبة والاعتراف بالمسيح مع اقتراب موعد بعثهم. أما المؤلف الثاني الذي كتب بعيد اندلاع الثورة في فرنسا فقد انصب اهتمامه، بصورة نموذجية، على «إعادتهم اليهود إلى الأرض المقدسة» وعلى مدى أهمية «هذا الحدث الجلل». وبير الذي كان ألفياً نافد الصبر ينتظر المجيء الثاني في أية لحظة لم يسعه أن يخصص وقتاً للاشتباك مع الكتاب الذين «يعارضون فكرة البعث اليهودي والمملكة الألفية» كما سبق لآير أن قال. فقد ظل كامل الاقتناع والرضى بإطلاق فيض آرائه الخاصة القائمة على المقاطع المناسبة الكثيرة الواردة في العهدين

القديـم والجديد، وكلها تظهر «يقينية وقرب موعـد الإعادة النهائية لإخوتنا العبرانيين إلى ممتلكاتهـم القديمـة في الأرض المقدسـة». وكان واثقاً من أن ذلك سيشـكل «بعثهم الدنيـوي الأخـير كأمـة» ولابد مـن أن يعقبه «اسـتكمال سـائر وعـود الـرب العظيمة والمجيـدة».[38] وكان الكتاب الألفيون في التسـعينيات يتبنـون الرأي ذاته، إلا أن عدداً كبيراً منهم لم يعكفوا، بشـكل خاص، على موضوع البعث. وكما مرّ بنا في القسـم الثاني فقد ورد ذكره في معرض مناقشـتهم للأيام الأخـيرة التي كانوا متأكدين بصورة مطلقة من أنها قد كانت بدأت، أو هي موشـكة على أن تبدأ قريباً جداً. وبالنسـبة إلى هؤلاء لم يكن البعث اليهودي يتطلب برهاناً خاصاً، لأن بضعة اقتباسـات ملائمة من النبوءات والرؤيـا كانـت كافيـة. فالموضـوع حملـه، بصورة تـكاد أن تكـون عرضية، سـيل النثر الصاخب والجارف المميز لمتحمسي العصر الملتهبين.[39]

أما كتاب تشارلز جِرام فكان من طبيعة مغايرة. فطَرْح الرجل كان هادئاً، وأكاديمياً، وكُتب بعبارات موزونة وبحذر، وهو ينتمي إلى تاريخ يخصه أيضاً. كان من عادة أستاذ اللاهوت النوريسي بكمبردج أن يحدد سنوياً موضوعاً للمناقشة. وكان ذلك الموضوع في عام (1795 م): «الأسـس التي يتضمنها الكتاب المقدس لتوقع أي بعث مسـتقبلي لليهود». ذهبت الجائزة إلى الطالب جِرّام وتم نشر مقاله في السنة التالية. كانت بصمات العـصر ظاهـرة على التاريـخ، والموضـوع، والمـكان والنـشر. فحين التحـق بكمبردج مستفيداً من منحة (جمعية إيلاّند) لم يكن جِرّام طالباً عادياً. فقد كان تجاوز العشرين من العمر، ومالكاً خبرة سنوات من التعليم، وكان له ارتباط وثيق برجال الدين المرموقين في (الفريـق الأنغليـكاني) وبالفئات المنشـقة المعارضـة، مع اطلاع غير قليل على سـائر نقـاط الخلاف بين الطوائف المختلفة. صحيح أن العديد من النقاشـات الحادة الطويلة حول القضايا الخلافية قد كانت سـاهمت في شـحذ ملكاته، أكثـر فأكثر، وهو العقلاني بطبعـه، غـير أنه انجر أيضـاً إلى البحـر الأكثر دفئاً لمذهـب الأنغليكان؛ ولـدى دخوله الجامعة التحق بجماعة التلاميذ المتحلقة حول تشـارلز سِميُون الذي قد كان بدأ يصبح زعيماً معترفاً به بين رجال الكنيسـة الأنغليكان. وعلى الرغم من أنه بكر في الاسـتجابة للحماس الإحيائي للعمل التبشـيري في الخارج، فإن مسألة ما إذا كان سِميُون قد مسته النزعة الألفية تبقى غير مؤكدة. إلا أنه لم يكن بعد قد أبدى أي اهتمام بالجانب اليهودي مـن التعاليم الألفيـة، بل يبدو، أكثر من ذلك، ذا ميول سـلبية تجاه اليهـود عموماً.[**]

والأستاذ النوريسي أيضاً، وهو عقلاني ميال إلى الشك، ما كان ممكناً أن يكون ذا آراء شخصية قوية حول موضوع البعث اليهودي. غير أن اقتراحه للموضوع عنواناً لمقال هو انعكاس صريح لمناخ التسعينيات حين كانت الآراء الألفية، كما سبق لنا أن رأينا، تنتشر ويكثر تكرار مناقشة بعث اليهود. غير أن هذا لم يكن، بالنسبة إلى جِرّام، كما يشهد في مذكراته، موضوعاً «لفت نظره من قبل؛ وبما أن حصيلة البحث قامت كلياً على الأدلة الواردة في الكتاب، فقد حرصت على القيام بدراسة متأنية لكل ما قال الكتاب عن الموضوع». وعلى الرغم من وجوب رجوعه إلى أعمال تأويلية معينة وقراءته بعض الأدبيات الجدالية الدائرة حول الموضوع، فمن الواضح أن نظرته كانت نظرة رجل مستقل التفكير.(40)

يزعم جِرّام أنه «ما من موضوع آخر حظي بمثل هذا العدد الكبير من النبوءات كموضوع البعث المستقبلي لليهود». إن كثيراً منها، يبدو متفقاً مع تأكيد أولئك الذين يرون أنها يجب أن تفهم بمعنى صوفي، سَتُقَرّ مثل هذه البنية، غير أن ذلك لا يفضي إلى القول بأن هذا هو المعنى الوحيد الذي يمكن إضفاؤه عليها؛ فمن شأن ذلك أن يوصل إلى افتراض يقول إنها غير قابلة للفهم وعديمة الجدوى كلياً بالنسبة إلى اليهود المعنيين أولاً بالإفادة منها؛ وكما هو واضح فإنهم لم يكونوا قادرين على امتلاك أية فكرة عنها عدا ما يتم استخلاصه من تفسيرها الطبيعي والواضح. فإذا كانت تلك النبوءات وعدت اليهود بـ«إعادة امتلاك كنعان، فإنهم كانوا، بطبيعة الحال، سيفهمون... الوعد بحرفيته». غير أن هناك مقاطع أخرى «متميزة... عموماً من الأخرى... تتضمن بعثاً مستقبلياً على صعيد الرأي فقط». ويقول الكاتب الآن، قالباً المناضد بهدوء على مدرسة المفسرين الآخرين، إن بعثاً مستقبلياً «يجري التنبؤ به بصورة مؤكدة» عن طريق هذه المقاطع «ومقاطع كثيرة يجري حصرها عادة في أطر مجازية ستبدو منطوية على صلة ذات شأن بهذا الحدث».

ويرى جِرّام أن الأساس الذي تقوم عليه سائر الوعود الكتابية الدائرة حول أي بعث يهودي مستقبلي هو العهد الذي قطعه الرب مع أبرَهام. ففي ذلك الوعد الصادر عن الرب يرد: «وأعطيك أنت ونسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان، ملكاً مؤبداً... » التكوين (17 : 8) وهو وعد «مطلق وغير محدود» و«حق اليهود في أرض فلسطين غير قابل للتصرف». وعن طريق هذا العهد جرى إعطاء اليهود

«حقاً مشروعاً صالحاً لكل الأزمنة» في ذلك البلد، وبالتالي فإن: «مطالبة اليهود بأرض فلسطين ستبقى على الدوام مطالبة معقولة وعادلة إذا كانت منحة صانع وحاكم الكون كلي القدرة قادرة على تشكيل أساس شرعي لملكية أبدية». يتضح من اللغة أن الأنبياء فهموا وعد الرب على هذا النحو. وبالتالي فإن: «بعث إسرءيل ويهوذا... اللتين يجب أن تعودا معاً... بعثاً مستقبلياً... يتم فيه توحيد بيت إسرءيل مع يهوذا في ملكية أرضهما» سيتم وفقاً للعديد من نبوءاتهم عن الموضوع، كما يقول جِرّام في معرض مناقشته بعض المقاطع ذات العلاقة المأخوذة من نبوءات هوشع، وإرميا وحزقيال.

وفي الجدل الذي أثاره موضوعنا، يطرح جِرّام مقولتين أخريين تنطويان على أهمية ملحوظة: الأولى مستمدة من تصور كوني. فهو يقر بأن أعمال الرب، منذ بدء الخلق، ظلت خاضعة لإدارة متناغمة مع خطة كبرى. فـ«تشكيل الطبيعة» و«عالم الحكم السماوي» يعبران عن ترتيب جرى تدبيره بصورة مسبقة، سمته المذهلة متمثلة «بتدرّج معين... من بدايات صغيرة نحو الكمال... فكل ما يحيط بنا متطور ومتدرّج». وفي ميدان تاريخ الجنس البشري، من زمن آدم، ظلت «خطة الإدارة السماوية» دائبة على التكشف على شكل «تجليات متعاقبة من الرحمة... كل منها أعم مما سبقه، وأكثر صراحة في الإعلان عن... أهداف الرب»؛ وهي «ستبقى تفعل ذلك إلى عصور توقف العالم». وفي التاريخ كان ثمة «ملكوت يهودي» كانت له «طفولته ونموه ونضجه». وجاء بعده «ملكوت مسيحي، ومملكة المسيح التي شهدت تطورات مماثلة». ونظراً لأن هذه المملكة قد تجاوزت طفولتها وقطعت شوطاً لا يستهان به على طريق النمو سيكون ثمة... «تقدم وصعود» مطردان ومتدرّجان «في نفوذها... إلى أن ترى نهاية الأرض خلاص الرب» مثلما يتضح في نبوءات الأنبياء وعلى لساني يسوع وبولس أيضاً. إن اعتزام الرب منح «العالم البركة الكونية» قد كان تم الكشف عنه، في الحقيقة، للمرة الأولى أمام أبرَهام في العهد. ومن هنا، كما من «تجليات» لاحقة لشمولية مملكة المسيح، يمكننا، بطبيعة الحال، أن نستخلص أنها سوف تحتضن اليهود آخر المطاف. ويشير جِرّام إلى ما أكده العديد من الكتاب بمن فيهم برِنت، وطوماس نيوتن، وآير ووِتكَر سابقاً، ويقول إن الرب الذي قد كان وعد، وفقاً للعهد، بعدم نبذهم، وخصوصاً لهذا (الغرض غير الاعتيادي) قد كان أبقاهم «وحافظ عليهم» عبر كل هذه الأجيال والعصور. وقد فهم الأمر على هذا النحو، يتابع جِرّام، من قبل يسوع نفسه الذي قال:

«ملوك الأرض يسودونها، وأصحاب السلطة فيها يريدون أن يدعوهم الناس محسنين» (لوقا: 21: 24)؛ ومن هنا «طبيعي أن نفترض أنها أورشليم التي ستتم استعادتها مع حلول ذلك الوقت لصالح أصحابها الأصليين». وبالتالي لا مجال للشك في أن «هذا الخلاص... ينتظر تحققه».

لدى طرحه الحجة الثانية المؤيدة لهذه الأطروحة من الواضح أن جِرّام كان يفكر بأولئك المفسرين المستعدين للتسليم بالخلاص المستقبلي لـ«إسرءيل كلها» بمعناها الأغسطيني أو البسيط، ولكنهم رفضوا فكرة البعث الجسدي «المادي» ومن المحتمل أيضاً أن يكون في وضع الرد على رد الفعل الغاضب الصادر عن الهرم الكنسي على الدعاوى الألفية الصاخبة. فهو يقول: قد يُعترض ويقال: «كان من غير المعقول أن تتم المبالغة في تأكيد استعادة النعم الدنيوية لصالح اليهود» لأن: «العقوبات والمكافآت في الدين المسيحي روحية». ويؤكد أنه ما من حجج مماثلة «ينبغي أن تكون ذات وزن حين تقارن بالإعلانات الصريحة الواردة في الكتب المقدسة. أضف إلى ذلك أننا غير مؤهلين لأن نحدد ما من شأنه أن يقود إلى المجد السماوي».

في هذه الجملة الأخيرة كان جِرّام يلمح إلى الاستنتاجات التي توصل إليها حول مسألتي الهداية والعصر الألفي؛ وهذا الجانب من البعث سأعالجه فيما بعد. أما عن إثباته حتمية حصول نوع من البعث الجسدي «المادي» فقد أكمل أطروحاته مورداً التلخيص التالي: «سواء أنظرنا العهد الذي قطعته السماء على نفسها أمام العبرانيين، أم أصغينا إلى نبرة الكتابات النبوئية... أم عاينا الطبيعة التدرجية المتطورة لانتشار المسيحية، فإننا نجد وفرة من الأسباب الداعية لتوقع نوع من البعث المستقبلي لليهود. إنه يشكل جزءاً أساسياً من خطة الحكم الإلهي التي ستبقى منقوصة من دونه. وهو منتظر من قبل اليهود أنفسهم، وليس هناك، فيما يبدو، أي اعتراض معقول ضده».[41]

(8)

بين سائر النصوص التي تعالج مسألة البعث تخصيصاً أو في شروح للنبوءات، أو حتى في كتب الألفية؛ وفي دراسات ذات شأن، وكراريس عابرة، أو مواعظ، يبرز مقال جِرّام بشموله، وبمحاكمته المتبصرة المركزية، على أنه أكثر المؤلفات كمالاً عن الموضوع. صحيح أنه أخفق، ربما عن غير قصد، في أخذ أبعاد كثيرة للمشكلة بنظر الاعتبار، رغم حقيقة كون بعض الأعمال التي أُعدّت ما كانت قادرة على الإفلات من ملاحظته، بل ربما أثرت في بحثه؛ غير أنه، فيما يخص موضوع العودة الفعلية إلى فلسطين، لخص بإيجاز ومنطق جميع الأمور التي كان كل من طوماس نيوتن (الذي يذكره) وبِرنِت، وآير، ووِتكَر، وآخرين قد طرحوها قبله، وأضاف حججاً تخصه هو. فبقلمه جرى تقديم الموضوع وليس كراساً جدالياً عابراً، لكن ضمن سياق منظومة لاهوتية عريضة. صحيح أن طبيعة العمل حالت دون تحوله إلى كتاب شعبي، ولكن الجمهور المتدين المتنور قرأه واستخلص منه جملة من التعاليم. ما من شيء ذي محتوى يكاد أن يكون قد أضيف إلى الجدل من قبل كتاب لاحقين تناولوا الموضوع، وفكرة العودة اليهودية إلى فلسطين بالذات تبدو وكأنها لم تكن مثار خلاف لعقود من الزمن على الأقل. هذا وقد بقيت مسائل ذات علاقة معلقة مثل هداية اليهود، وطبيعة المجيء الثاني، والعصر الألفي، دون أجوبة حاسمة لدى الكتّاب أو الوعاظ أو الجمهور المهتم. ولكن جِرّام نجح، على ما يبدو، في حسم المسألة فيما يخص نقطة البعث الجسدي. ومع ذلك ظل النقاش مستمراً. فالروح الألفية كانت تتسع انتشاراً في الخارج، كما كانت الأدبيات الألفية، لطبيعتها بالذات، تعود إلى الموضوع مرة بعد أخرى، فضلاً عن أن الكتّاب الألفيين، مثلهم مثل الجمهور، كانوا ينبهرون بمسائل عملية مثل: متى وكيف سيتم البعث؟ من أين سيرحل اليهود؟ من الذي سيساعدهم؟ وعلى الرغم من أن جِرّام ألمح

بطريقة عامة، وغامضة إلى إجابة عن واحدة أو اثنتين من هذه النقاط فإنه ظل، لنزوعه الواضح إلى تصديق التشخيص الألفي لـ«الزمن المرعب» الذي كان يعيش فيه، عازفاً عن مناقشة مثل هذه الأمور في كتابه، غير أن كتّاباً متدينين آخرين لم يتردّدوا في إيراد الكثير من التفاصيل.

إن الألفيين العجولين الذين سعوا إلى احتساب تواريخ الأيام الأخيرة، مثلهم مثل بعض الكتاب الذين جهدوا للبرهنة على صحة الديانة المكشوفة عن طريق التوفيق بين النبوءات القديمة والأحداث الراهنة، حاولوا، جميعاً، أن يكشفوا النقاب عن الأسرار الكامنة وراء البعث الفعلي. متى سيعود اليهود؟ هل سيذهبون إلى فلسطين دفعة واحدة، أم في موجات؟ لقد سلّمَ الجميع بأن تاريخ الخلاص كان مرتبطاً بـ«آخر أزمان الأميين» بفترة تمتد ألفاً ومئتين وستين عاماً، كما في (زمان واحد، زمانين ونصف زمان) في نبوءة دانيال، وذلك «الجيل الأخير» من عالم «الوحش الرابع» الوارد في رؤيا القديس يوحنا الذي كانت «المملكة الرابعة» عند دانيال، ستتلقى ضربة موجعة. وقد فهم ذلك على أنه يعني انهيار الدول الكاثوليكية، وارثة إمبراطورية روما المقدسة، والحكومة البابوية التي كان البابا: المسيح الدجال، يقف على رأسها (وهذا التشخيص الصادر عن مصلحي العصر الوسيط) كان مقبولاً بصورة عامة لدى البروتستانت الذين أراقوا أنهاراً من الحبر للبرهان على صحته مرة بعد أخرى). وهذا «الجيل الرابع» بالذات كان أيضاً مرشحاً لأن يشهد تداعي، بل ربما الانهيار الكامل، للقوة الإسلامية (الكافرة) المتمثلة بالسلطان التركي. فكل من السلطان والبابا اللذين كانا يرمزان إلى سيادة الهرطقة في العالم كانا يعرقلان بعث اليهود وقدوم المخلص: الحدثين اللذين كانا سيقعان بصورة شبه متزامنة. ولكن ما الذي كان يشكل نقطة بداية حساب «أزمان الأميين»؟ تلك هي النقطة التي تباينت حولها آراء الألفيين والباحثين الكتابيين. لقد جرى اقتراح العديد من الأجوبة اعتمد كل منها على ما اعتبر بداية للهرطقة، لأن الحساب كان يتعين عليه أن يبدأ من هناك. وتم إسناد هذا الاعتبار، بدوره، إلى معاينة الأحداث السياسية الجارية في أوروبا، جنباً إلى جنب، عموماً، مع خطأ في الحساب ارتكبه مفسر سابق كما أثبت الزمن؛ وسعياً وراء التطابق مع أحد التفاسير الألفية للأحداث الراهنة جرى عكس تاريخ بداية «أزمان الأميين» إلى الوراء على خط الزمن. وأية مؤشرات دالة على أن سلطة الحكم البابوي أو السلطان باتت مهزوزة كانت تعتبر

عموماً موحية بأن «أزمان الأميين» باتت موشكة على نهايتها. ومقابل ذلك كانت ساعة خلاص اليهود تعتبر قد أصبحت قاب قوسين أو أدنى.

ولكـن، متـى بالتحديـد، كانت سـتدق سـاعة البدء بعمليـة البعث؟ اعتقـد فِنتش أن الآيـات كانـت تشـير إلى «أن غاية الـرب... هي إعادتهـم اليهـود إلى الوطن»؛ وقد اسـتخلص مـن نبـوءة دانيـال والقديس يوحنـا أن «الرب سـيعفي شـعبه المقدس من الشـتات ومن صـب المزيد مـن غضبه عليهـم... حين يكـون الطغيان التركـي قد دام ثلاثمئة وخمسـين سـنة». واسـتنتج، بالتالي، أن عام (1650 م) كان العـام الذي يتعين فيـه أن تبدأ عملية التجميع الأولي. وبالتحديد كان هذا هو الموعد الذي حدده برايتمن لجفـاف نهـر الفرات تمهيـداً لعودة الدفعـة الأولى من اليهـود من الشرق. أما سـامويل لي الـذي كتب بعدهمـا بزمن طويل، بعد أن أثبت أن مراجعـة عام (1650 م) وكذلك عـام (1666 م) الاسـتثنائي العجيـب الذي عقد كثـير من ألفيي (الفـترة البيوريتانية) آمالهم عليه، كان خاطئاً. فقد حسب أن «عمليات تجميع إسرءيل... في وطنهم» ستبدأ في عام (1766 م) وسـيتم اسـتكمالها في غضون خمسـة وأربعين عاماً.[42] وشاطره هذا الرأي لاهوتي، وعالم وأسـتاذ في كمبردج يدعى وليم وسـتن. ففي مناسبة معينة في عام (1746 م) قال الأخير: «أعتقد جازماً أن السـماء بدأت تتدخل الآن وبدرجة استثنائية في شـؤون العالم وراحت تشـيد صرح العصر الألفي السـعيد»؛ وفي ختام محاضرة عن تابـوت العهد والهيكل حدّد العام نفسـه، وأعلن، قارئـاً ورقات، كما يقول في مذكراته، أكدت أن يسـوع، وفقاً لحسـاباته، سـيكون «قادمـاً لإعادة اليهود وبـدء العصر الألفي خـلال عشريـن سـنة مـن الآن».[43] وثمـة مؤلـف مغفل الاسـم كتب عـن الموضوع في الخمسـينيات اعتقد أن وسـتن كان على خطأ في حسـابه التاريخ؛ إلا أنه، هو نفسه، لم يكن يراوده أي شـكّ في أن «اليهود سـتتم إعادتهم في وقت غير بعيد» وأن «انطلاقتهم الأولى... نحـو أرضهـم» يجـب أن تتـم «قريباً جـداً» نظـراً لأن العصر الألفـي لم يكن بوسـعه أن يبقـى بعيـداً. أما رِتْـشَرد كلارك الـذي كان ألفياً متحمسـاً مقتنعـاً بأنه كان متمتعاً بموهبة النبوءة، فقد كشـف عام (1773 م) عن أن «شـتات اليهود سينتهي عما قريـب» لأن علائـم الأزمنـة كانت جميعاً تشـير إلى أن العالم كان يقـترب من «الملكوت الألفـي للمسـيح الذي بات مجيئه وشـيكاً».[44] غـير أن رِتْشَرد بـير أراد أن يكون أكثر تحديـداً. فقد اعتقـد، مثله مثل كاتبين قبلـه، بأن قيصر روسـيا كان في الحقيقة هو ملك

الشمال الوارد ذكره في نبوءة دانيال، الذي قد كان تم تكليفه بإنجاز مهمة هدم مملكة جوج وهو السلطان، لفتح الطريق أمام العودة. ففي كتابه الأول الذي أنجزه في صيف عام (1789 م) رأى أن «الحرب الروسية – التركية الحالية قد... تنزع إلى التمخض عن ذلك الحدث الجلل والمجيد» و«البعث الدنيوي الأخير... سيتم... على أبعد تقدير، في غضون ثلاثين سنة». وبعد حوالي عام كتب يقول: إلا أن «أحداثاً معينة ما لبثت أن جرت» خلال الأشهر التالية، مشيراً إلى انتشار الثورة الفرنسية «حفزت الأذكياء على الاعتقاد بأن القدوم الوشيك للموعد المحدد لإنجاز... تلك الأحداث العظيمة التي ما زالت كامنة في رحم المستقبل بات قوي الاحتمال على الأقّل». وقد أدرك الآن أنه قد كان أخطأ في تحديده وسارع إلى إعلان أن «بداية عملية... الإعادة... إلى الأرض المقدسة ستكون في عام (1791 م)». إلا أن رِتْشَرد برذرز ما لبث، بعد بضع سنوات، أن تنبأ بأن اليهود كانوا سيباشرون التحرك إلى فلسطين في عام (1798 م). وقد كتب جيمس بِتشنو، الذي وضع برنامجاً زمنياً منظماً ودقيقاً لحقبة الأيام الأخيرة، يقول إن مسيرة العودة كانت ستبدأ في موعد لا يتعدى عام (1819 م).[45]

إلا أن ثبوت خطأ الحسابات لم يحبط الألفيين؛ فالتاريخ نفسه لم يكن ينطوي على أهمية فائقة. وقد زعموا أن الأخطاء كانت نتيجة وقوع هذا الشخص أو ذاك في خطأ تفسير مسار الأحداث العالمية الراهنة، من حيث مداها في الحقيقة لا من حيث طبيعتها أو أهميتها. فما كان يأتي في المقدمة من حيث الأهمية هو الإدراك الأكيد لحقيقة أن جيلهم كان آخر أجيال العالم، أو، بعد اندلاع الثورة الفرنسية، أول أجيال الأيام الأخيرة بالأحرى. وحول هذا الأمر كانوا متفقين في الرأي؛ وبالتالي كان لا بد للبعث من أن يكون وشيكاً. غير أن الآراء تباينت حول مسألة ما إذا كان أوائل العائدين سيأتون من الشرق أم من الغرب؛ وحول هذه المسألة أيضاً تم التوصل إلى الحل عن طريق المعاينة الدقيقة للسياسة العالمية. فمن كتبوا حول الموضوع اتفقوا على أن جميع اليهود، مهما كانت أماكن تبعثرهم، كانوا سيعودون. وبالفعل فإن التأكيد على عودة (اليهود والإسرءيليين) كما ظهر أيضاً في عناوين بعض الكتب كان ينطوي على أهمية خاصة لأن الأنبياء قد كانوا تكهنوا بتجميع مجمل الشتات كما قد كان بولس أكد مسألة إنقاذ «كل إسرءيل». كان معروفاً لدى الجميع أن الشتات المنظور، يهود أوروبا، وشمال إفريقية وشرق المتوسط، كانوا من نسل قبيلتي يهوذا وبنيامين. ولكن

أين كانت الأسباط العشر؟ وإذا كان نسلها ما زال باقياً في مكان ما و«متماسكاً كشعب منفصل» وهذا ما يجب أن يكون في الحقيقة، نظراً لأن خلاصهم قد كان تم التنبؤ به، فهل كانوا يهوداً في دينهم؟ أضف إلى ذلك أن تلك الأسباط لم تكن وقعت في خطيئة رفض يسوع، وربما كانت جديرة برحمة الرب أكثر حتى من نسل يهوذا وبنيامين؛ وكانت ثمة آمال في احتمال أن يكون هؤلاء أكثر استعداداً لقبول المسيحية عندما تحين الساعة. ذلك هو السبب الكامن وراء الاهتمام الشديد بمصيرهم من جانب الكتاب المتدينين، وخصوصاً الألفيين، الذين كانوا شغوفين بقراءة كتب الرحلات، والتاريخ، أو البحوث، أملاً في الاهتداء إلى مفاتيح لهذه المسألة. لم يكن الأمر محض فضول بشأن فصل غامض من فصول مصائر إحدى الأمم، بل سعياً جاهداً إلى صحة نبوءة حول مصداقية تصور مسيحي للتاريخ، فضلاً عن كونه مسوغاً للتوقعات الإيمانية وللتوق الطويل إلى الخلاص.

أما الشاعر والكاتب وسفير الملكة إلى موسكو غايلز فلتشر الذي جال في أرجاء روسيا أواخر القرن السادس عشر، فقد رأى أن «التتار» المقيمين إلى الشرق من بحر قزوين كانوا «ذرية أسباط إسرءيل العشر». واعتقد أن هذا الافتراض كان متطابقاً مع ما هو وارد في سفر إسدراس الثاني (13) عن الأسباط التي ارتحلت من بلاد الماديين «حيث أسكنهم الآشوريون على ما يبدو» إلى بلاد نائية لتعيش بعيدة عن الأمم الأخرى. وأشار إلى أن «عاصمتهم... هي سامارتشان (سمرقند) التي كانت شديدة الشبه... بسامريا، مدينة الإسرءيليين الرئيسة)؛ وأن لهم أيضاً مدينة اسمها طابور «مسوّرة جيداً وفيها قلعة حصينة على تلة عالية، لا تختلف من حيث الشكل أو الاسم عن جبل طابور عند الإسرءيليين»؛ وأن «عندهم مدينة تدعى أريحا». ويتابع روايته قائلاً إن التتار أنفسهم يؤكدون «أن جذورهم تمتد إلى الإسرءيليين الذين تم غرسهم بالقرب من بحر قزوين». و«حسب ما يقوله الروس» فإن في لغتهم «عدداً غير قليل من الكلمات العبرية والكلدانية» «وهم مختونون» ومقسمون إلى عشر أسباط. واعتقد فلتشر أن زعماء هذه الأسباط كانوا «ملوك الشرق» الذين ورد ذكرهم في سفر الرؤيا (16) الذي يراه «كل المفسرين» سفراً دائراً حول «دعوة اليهود إلى العودة من شتاتهم... إلى مسكنهم القديم وبلدهم الأصلي».

وصلت مخطوطة هذا المقال إلى ساموييل لي وربما حفزته على كتابة دراستيه عن البعث

اليهـودي، افتتحت الأولى بمناقشـة مسـألة الأسـباط العشر. فبالانطـلاق من كتابات قدماء المؤرخين ورحالة العصور الوسطى وما بعدها وباحثيها، توصل لي، بالتنسيق مع فلتشر، إلى اسـتنتاج يقول بأن الأسـباط العشر قد كانت نُفيت إلى أماكن قريبة من بحر قزوين في شـمال إيران وكانت الآن تعيش في تلك المنطقة.[46] حظيت وجهة النظر هذه «دعماً شـاملاً» جراء ما أطلق عليه وليم وسـتن «اكتشـافي الشـهير» حيث أشار إلى سير حياة الأكاسرة التي كان بلوتارخ تحدث فيها عن شـعب عرف باسـم القادوسـيين كان يعيش في بلاد الماديين الشـمالية الغربية، انتقل، بعد تعرضه لغزو الفرس، إلى مكان آخر ولم يُسمع عنه شيء بعد ذلك. وباعترافه فإن وستن استند إلى متخصص إنجليزي شهير في الدراسات العبرية اعتقد بأن هذا الشعب «كان يعرف باسم القادوسيين المأخوذ منه الكلمة العبرية (قدوشيم) التي تعني: الشعب المقدس»؛ (وكان الاسم المشترك لليهود هنـاك في تلـك الأيام)». وبالتالي فـإن التتار «يتحدرون من القادوسـيين الذين أفترض أنهـم كانوا أبناء تلك الأسـباط العشر فعلاً». وفيما بعـد، في الأربعينيات أضفى مؤلف دراسـة قصيرة عن البعث، مغفل الاسـم، مزيداً من المعنى على استنتاج فلتشر بالإفادة مـن كتاب جغرافي تاريخي عن روسـيا نـشره قبيل ذلك التاريخ ضابط سـويدي أمضى حوالي عشرين سـنة في البلاد. «فهذا الضابط السـويدي» سمع عن شعب يعرف باسم كيوبـا أو كيوبتزين (يُعتبر يهوديـاً) كان يعيش في الجبال (غير بعيد عن دربنت، بالقرب مـن بحـر قزوين)؛ ورغم عـدم معرفته كيفية وصولـه إلى تلك الأصقـاع «فقد قيل إنه الذي الشـعب كان يتبع شرائع موسى» بل «وكان أيضاً يتكلم العبرية». وفي محاولة منه لإقامـة علاقة معقولة بين «الكيوباتزيين» والأسـباط الأصلية العـشر «وربما بينها وبين القادوشيم أيضاً» فإن مؤلفنا مغفل الاسم يقول: «تكاد دربنت أن تكون مرتبطة بإقليم شروان الذي كان جزءاً من بلاد الماديين القديمة». وثمة مؤلف آخر مغفل الاسم كتب عـن البعث كرر هذه الرواية، مقدماً أيضاً تلخيصاً مطولاً لكتاب فلتشر ومحيلاً القارئ على «السيد وستن المتبحر في العلم والمعرفة».[47]

أمـا طومـاس نيوتـن فقد رفـض الفكـرة القائلة بـأن الأسـباط العشر بقيت شـعباً منفصلاً؛ كما أن هِرْد ووِتِكَر وجِرّام أهملوا الموضوع كلياً، تحت التأثير الواضح لنيوتن. غير أن جوزف آير ما لبث، بالمقابل، أن تبنى وجهة النظر، إذ كتب يقول ببساطة عبارة (القادوسـيين أو الشـعب المقـدس).[48] بـل حظيت الفكـرة، في صياغـة مختلفة بعض

الشيء، بما أمكن اعتباره تأييداً علمياً. ففي إطار نشره المنوعات المهتمة بآسيا القديمة في مجالات الآثار والأدب والتاريخ المعروفة باسم: آسيتِك رسرتشز «أبحاث آسيوية» الصادرة في البنغال برئاسة تحرير المستشرق المرموق السير وليم جونز، نُشر مقال عن (تحدر الأفغان من اليهود). وكانت المادة ترجمة عن الفارسية لمقال دار حول كيفية تحدر الأفغان من الملك شاول. وخلافاً لرأي المترجم الذي لم يعد يعتبر الرواية «تاريخاً جدياً ومحتملاً» فقد أطرى المحرر المرموق عليها باعتبارها مستندة إلى نوع من الأساس التاريخي. وفي ملاحظة ملحقة كتب جونز يقول: «يرى أفضل المؤرخين الفرس أن الأفغان منحدرون من اليهود؛ ولديهم روايات تتحدث فيما بينهم عن مثل هذا النسب؛ بل قد تأكد أن عائلاتهم متميزة بأسماء الأسباط اليهودية». وتابع يقول: «إن للغتهم شبهاً جلياً بالكلدانية إحدى اللغات السامية؛ ولهم إقليم ذو شأن خاضع لحكمهم يعرف باسم هازارت، الذي ربما تغير بسهولة إلى كلمة متداولة لدى إسدراس، أي أرزرت، ذلك البلد الذي وصلت إليه الأسباط العشر بعد جولات طويلة». كانت ملاحظات جونز أشبه بنوع من الرؤيا، وجنباً إلى جنب مع معلومات سابقة عن وجود يهود في الهند، اعتُبرت تأكيداً لوجهة النظر الشعبية عن مصير «الأسباط الضائعة». وفي أحد أعدادها لعام (1793 م) نشرت إفَنغِليكل مغازين «المجلة الإنجيلية» الملاحظة التي كتبها جونز، ورأى بِتشِنُو مستنداً إلى «أبحاث آسيوية» يد الرب في حقيقة «بروز وجوب استعادة أسباط إسرءيل العشر أولاً بعد أكثر من ألفين وخمسمئة عام في هذه الفترة بالذات حيث تشير كثرة من البينات إلى اقتراب موعد إحيائها». ولسنوات عديدة بعد ذلك، سنوات زاخرة بالإيمان والخيال، بالتوقعات والألغاز المرشحة لأن تستكشف، ظَلّ وجود الأسباط العشر مسلّماً به بوصفه حقيقة مؤكدة.[49]

(9)

إلا أن (البعث الروحي): لدين اليهود العائدين، أصبح يلفّه بعض الشك. فعلى امتداد أجيال عديدة لم يتم طرح أي تساؤل حول دينهم بعد أن أصبح بعثهم المادي موضوعاً للنقاش. فالأمر لم يكن عديم ثانوياً، بل كان على النقيض من ذلك، منطوياً على قدر كبير من الأهمية؛ وبذل معظم المؤلفين الذين ناقشت كتاباتهم جهوداً مضنية للبرهان على أن الشعب اليهودي كله كان مقدراً أن يتم إنقاذه. وهذا الطرح كان منطوياً على ثلاثة معانٍ. فخلافاً للتعاليم التقليدية لدى مفسري العصور الوسطى (والكاثوليك فيما بعد) القاضية بأن اليهود لن يقوموا ثانية أبداً، وبأن أفراداً يهود فقط كانوا سيتمكنون، عن طريق الاهتداء الكامل، من الخلاص من خطيئة رفض يسوع، رأى عدد كبير من المفسرين البروتستانت أن خلاصاً قومياً محدداً كان سيتم، شاملاً الشعب اليهودي كله، كما تكهن الأنبياء وكما أكد بولس ذلك؛ هذا كان أحد المضامين. انطوى المضمون الثاني على أن الخلاص كان سيتم عن طريق عودتهم إلى الرب بقلوب نقية وصادقة، بمعنى أن اليهود كانوا سيعتنقون المسيحية. وثمة معنى ثالث كان يرى بأن الخلاص سيتم بلوغه عبر عودة اليهود إلى وطنهم القديم. فالرب كان عازماً على دعوتهم، وإعادتهم، وإحيائهم، واستعادتهم إلى ذاته، وكانوا هم سيعترفون بيسوع كمسيح لهم، مقبلين على اعتناق المسيحية؛ ومن خلال قيامه بإصلاحهم، وإعادتهم، وبعثهم، وإرجاعهم إلى أرضهم، كان الرب سينجز عملية ترسيخهم، وبعثهم، وإعادتهم أمة مستقلة في دولتهم وسيمنحهم سائر النعم والبركات التي وعدهم الأنبياء بها.(***) وكان التفسير كلي الجدة من جوانبه الثلاثة كلها. وقد شكل ثورة حقيقية على صعيد مسألة إعادة الشعب إلى وطنه وظروف حياته السعيدة اللاحقة. فالأساس المحدد الذي كانت كنيسة روما ترمي إلى حرمان اليهود منه هو ذلك المتمثل

بتوقع انبعاث سياسي مستقبلي عن طريق تقديم تفسير مجازي للنبوءات الدائرة حول البعث، منتحلة لنفسها، بالتالي، سائر النعم الموعودة. كما لم يستطع عدد كبير من الرهبان والمفسرين البروتستانت، أو لم يريدوا، أن يتكيفوا مع التفسيرات الجديدة المستمدة من المعنى الحرفي للكتاب. ففي حين أنهم كانوا مستعدين لأن يسلموا بأن الشعب اليهودي كله كان سينال الخلاص الروحي، ظلوا يرفضون مباشرة أية فكرة عن أي بعث دنيوي، سياسي، زاعمين أن الأنبياء إنما قصدوا العودة أو عملية الإحياء بمعناها الروحي فقط «ومثل هذا الموقف ساعدهم كثيراً أيضاً في تفسير مغزى العصر الألفي». إن هذا الموقف هو السبب الكامن وراء بذل المؤلفين الذين ناقشُت أعمالهم جهوداً استثنائية خاصة للبرهان على العودة الجسدية إلى فلسطين والإحياء السياسي فيها. مع ذلك فإن العودة الروحية، أي توبة اليهود واهتداءهم، لم تكتف بتشكيل جزء من معتقداتهم الأعز على قلوبهم، بل كانت ذات أهمية فائقة. صحيح أن تجميع شعب مشرد في زوايا الأرض، وعودتهم إلى وطن قديم، وحروبهم ضد أعداء أقوياء وانتصارهم النهائي، وقيامهم الأكيد بإعادة بناء حياتهم القومية، ذلك كله كان من باب المعجزات، وفوق قدرة البشر على الفهم، عسير الإدراك أو الاعتراف به لسبب أو آخر «وربما كان هذا أيضاً أحد الأسباب التي دفعت الكتاب المتحمسين إلى التوقف طويلاً عنده». ولكن حقيقة أن هذا الشعب كان سيتعين عليه أيضاً أن يقبل بالمسيح الذي قد كان خرج من صفوفه وأنكره، وأن يعترف بالمسيحية مثبتاً صحة ذلك الدين ومحققاً تتويجاً لرحمة السماء وقيام ملكوت السماء، كانت رؤيا لا تقل إبهاراً وبهاءً عن البعث الجسدي، بل ربما تفوقه. وقد بدا الاحتمال الثاني، على أية حال، هو الأقوى والأكثر اتصافاً بالعقل في نظر المؤلف نفسه كما لدى الجمهور عموماً، لأن الجميع كانوا، بصورة طبيعية، يؤمنون بأن المسيحية كانت هي الديانة الصحيحة الوحيدة، وكان الاعتقاد السائد يقول بأن اليهود وسائر غير المؤمنين المختلفين لم يكونوا محكومين بأن يظلوا مصابين بالعمى إلى الأبد، بل كانوا مضطرين، آخر الأمر، للاعتراف بالعقيدة الصحيحة. فخلال السنوات المئة والخمسين الأولى من الكتابة عن فكرة البعث ظل الرأي القائل بأن عملية البعث كانت ستبدأ بتوبة اليهود مقبولاً على أنه من البدهيات؛ إذا كان الرب قد قرر إعادتهم إلى أرضهم فإن ذلك كان يعني بأنهم باتوا مستعدين للتوبة وللاعتراف بيسوع أولاً. ذلك هو ما جعلني أقول إن ديانة اليهود العائدين لم تبد

موضع تساؤل طوال تلك الفترة.

ومهما يكن فقد كان موقف فِنتش كذلك. لقد حسب أرقامه واستنتج أن الشتات كان سينتهي مع سقوط الإمبراطورية التركية؛ وأن ذلك السقوط كان سيبدأ في عام (1650 م) و«بعد ذلك سيبدأ اليهود بالعودة إلى الرب». فكما جاء في نبوءتي إشعيا ودانيال، كان الرب سيعيد اليهود أولاً من الشمال والشرق؛ وبالتالي فهو يقول: «إن أوائل المهتدين سيأتون من الأصقاع الشمالية والشرقية». لذا فقد بدا له أن «عودة اليهود إلى بلدهم» قبل حدوث عودة سابقة إلى الرب كانت مستحيلة. وكان جوزف مِهْد، هو الآخر يضمر في كتاباته أن «الدعوة» كانت ستسبق «التجميع»؛ كما أن طوماس نيوتن أعطى المكان الأول في عملية الخلاص للهداية، غير أن موقف ساموِيل لي ليس واضحاً تماماً، إذ يبدو أنه كان يعتقد بأن الأسباط العشر التي كانت، كلياً أو جزئياً، أول من ستتم إعادتها إلى فلسطين «كانت ستعود مع اهتداء إلى المسيح». إلا أنه ما لبث، لدى حديثه عن اليهود «بوصفهم ذرية سبطي يهوذا وبنيامين» أن أغفل ما إذا كانوا هم أيضاً سيهتدون قبل العودة. ودون تحديد أية أولوية كتب في مقطع آخر يقول: «إن عودة إسرءيل ستكون مصحوبة بهداية مجيدة». وفي معارضة لهذا الإعلان غير الملتزم، ولأسباب أخرى، ربما أكد اثنان من المؤلفين المغفلين أن البعث سيكون مشروطاً بالهداية. فمع إقرارهما بأن الوعد السماوي المتمثل بإعادة اليهود إلى فلسطين كان مطلقاً، تعين على اليهود، بدورهم، أن يعودوا بقلوب صافية إلى الرب أولاً. وربما كانت وجهات نظر مماثلة تبناها الكتّاب الذين وجهوا لليهود «دعوة جادة وحميمة» طالبين منهم الإسراع في التوبة والاعتراف بالمسيح، لأن فترة شتاتهم كانت تقترب بسرعة من نهايتها.[50]

قد لا يكون مفاجئاً كلياً، كما سبق لي أن قلت، أن هذا هو المكان المخصص للهداية في مشروع الخلاص، لأن اليهود قد كانوا، آخر الأمر، عوقبوا بتدمير بلدهم وتشريدهم منه جراء إنكارهم يسوع، فكيف كان يمكن تصور العفو عنهم قبل التوبة والاعتراف به؟ ومع ذلك فإن الأمر ينطوي على شيء من المفاجأة. فالمؤلفون الذين كنا نناقش أعمالهم انطلقوا جميعاً من شرح الأسفار شرحاً قاعدياً حرفياً. وكان عليهم أن يتساءلوا: من أين نعلم إن كانت عودة اليهود ستتم في حالة الهداية أو أنهم كانوا سيهتدون أساساً؟ كانت عملية العودة مؤكدة بعبارات الرب الصريحة الواردة في وعده لأبرَهام،

وبالتصريحات الواضحة التي أطلقها الأنبياء فيما بعد. ولكن أين كان يمكن العثور على كلمات مماثلة من حيث الوضوح والصراحة والتنديد، واعدة بالعودة إلى الرب بالمعنى المسيحي تحديداً في العهد القديم؟ بين سائر الكتابات التي عاينتها لم أجد أحداً سوى جِرّام عاكفاً على مقارعة مع المشكلة.

بالنسبة إليه، كما بالنسبة إلى العديد من الآخرين، كانت عمليتا الاستعادة الجسدية والروحية وجهين لمجمل عملية الخلاص. غير أنه يقول: «إن حتمية حدوث هذا لا يمكن إثباتها باستنتاجات العقل وحده. فتوقعاتنا المتعلقة بالأمر تستند، في المقام الأول، إلى رؤيا سماوية» أي إلى إيمان مسبق بأن ما هو وارد في الكتاب صحيح. وهذه المسَلَّمة كافية تماماً لإظهار البعث الجسدي المستقبلي، لأن عبارات الكتاب المتعلقة بالحدث، «إعادة آبائكم إلى الأرض» أو «أجعلك أمة عظيمة» وما شابهها، يمكن أخذها «بطريقة مباشرة» يمكن فهمها بمعناها البسيط من نظرة خاطفة. أما النبوءات المتعلقة بهداية اليهود، فقد شعر جِرّام بأن عليه أن يعترف بأن من غير الممكن فهمها بـ«طريقة مباشرة» بل «هي أقدر على إتاحة الفرصة لتفسير عام وصوفي». وبهذا يبدو أنه كان يعني أن توقع الهداية يستلزم أيضاً التسليم بفرضية أخرى: كانت المسيحية، بوصفها عقيدة الكمال، هي بطبيعة الحال التي قصدها الرب الكامل من بداية (المسكونة اليهودية)؛ ومن شأن هذا أن يتضمن أن كلمات العهد القديم وتعابيره المتعلقة بديانة اليهود كانت في الحقيقة مقصودة، بطريقة صوفية، للدلالة على العقيدة كما تجلت أخيراً في يسوع والرسل. بهذه الطريقة فقط يغدو مفهوماً أن الرب حين قطع العهد مع أبرَهام كان، في الحقيقة، يعني، كما يقول جِرّام، العهد المسيحي الجديد الذي تحدث عنه بولس. كما أن الأنبياء قصدوا هذا بالتحديد حين قاموا، بالانطلاق من العهد، بوعد اليهود بـ«روح جديدة» وبـ«قلب جديد» و«قلب من اللحم» أي بروح وقلب مسيحيين، لدى استعادتهم. وبالتالي فمن الممكن الاستنتاج بأن العهد مع أبرَهام هو مسوغ هداية اليهود المستقبلية تماماً كما هو الضمانة الأكيدة لعودتهم إلى فلسطين.

هل كانت الهداية شرطاً مسبقاً للعودة إلى البلاد، أو البعث الجسدي المادي عموماً، كما كان بعض الكتّاب يطالبون؟ لا يبدو جِرّام مالكاً أي دليل. فالعهد مع أبرَهام، برأيه «كان يشترط» التوبة المستقبلية؛ ومن المحاكمة المنطقية بدا مستنتجاً أن على التوبة أن تبدأ فعلها «في أزمان سبيهم» «لتعذر افتراض» أن الرب سوف «يدخلهم في ملكوته

وهم ما يزالون غير تائبين». غير أن المسألة تبقى غير محلولة مقارنة بفقرات أخرى من المقال. فقد ظل جِرّام ميالاً إلى الاعتقاد بعدم حسم ليس فقط مسألة حتى كيف كانت عملية الهداية ستتم بل وحتى كيف كانت ستتحقق.(****) صحيح أن عمليتي الهداية والبعث كانتا ستتمان بالتأكيد، ولكن الجزم بأن هذه ستسبق تلك كان مستحيلاً. كان يتعين على العمليتين أن تحدثا في الوقت المحدد. وكانت قناعته الراسخة أنه ربما بات الأمر محسوماً بأن على عودة اليهود إلى بلدهم أن تأتي أولاً؛ وقد يكون هذا الحدث هو الذي «سيفضي إلى المجد الإلهي».(51)

لكن الأسفار لم تجزم في تأكيد أن اليهود كانوا سيعودون وهم مهتدون. وربما كانت ثمة قراءة حرفية للكتاب قبل جِرّام بسنوات فرضت الاستنتاج نفسه على آخرين. غير أن البعض، وهم الأكثرية بالتأكيد، أصروا على أن الهداية كان لا بد لها من أن تأتي أولاً، إما لأن أي مسيحي تقي ما كان يستطيع أن يتصور نقيض ذلك، أو تحديداً لأن الكلمات البسيطة للعهد القديم لم تلق ما يكفي من الضوء على هذه النقطة. وثمة آخرون كانوا مستعدين لأن يتركوا المسألة معلقة. ومن الممكن تماماً أن شكوكاً ثارت في ذهن منشق ومتابع دقيق للتفسير الحرفي هو ساموئيل لي الذي بقي، كما قيل من قبل، غامضاً حول ديانة اليهود العائدين. كما أن جوزف آير، وهو منشق آخر ومن المدرسة التفسيرية نفسها، قطع، على ما يبدو، شوطاً أبعد إذا لم يكتف بالعزوف عن مناقشة الهداية من الأساس، بل تجاوز ذلك إلى عدم التلميح إلى وجهة نظره بشأن ديانة أوائل المنفيين العائدين. وتعكس أطروحة وِتِكَر هي الأخرى الشك الذي يحيط بالموضوع والمتولد من التفسير الأكثر عقلانية للكتاب. فبعد إزاحته موضوع الهداية جانباً، اكتفى بالقول بأن الرب كان «سيعيدهم اليهود إلى إدراك خطاياهم». وبما أن وعد أبرَهام بامتلاك أبدي لفلسطين كان على «هذه الدرجة من الانطلاق» فإن العودة إلى البلد لم تكن متوقفة على اهتداء اليهود بصورة مسبقة، بل كان ممكناً تماماً أن تشكل العودة الجسدية (تمهيداً لتجلي) النعم الروحية.(52) وإلى حد أكثر أو أقل كان ذلك أيضاً هو موقف الأدبيات الدينية، بأكثريتها الألفية، في التسعينيات. وهنا فإن طبيعة الأزمنة هي التي بدت حاسمة للمسألة؛ فقد ساد الاعتقاد بأن المؤشرات كانت تدل بوضوح على أن العودة إلى فلسطين باتت «في متناول اليد» ولكن الحقيقة كانت تقول بأن اليهود لم يكونوا قد تابوا بعد؛ وبالتالي أصبح واضحاً تقريباً أن عملية البعث كانت ستسبق

عملية الهداية. وكل من بِتشنو، وكِنغ، وكِتّ وآخرين كثر أعلنوا صراحة موافقتهم على مثل هذا التسلسل للأحداث. أما جِرّام، وهو المعروف بالحصافة والحذر، فلربما أحس بروح الأزمنة حين قال، في معرض إشارته إلى أن «هداية اليهود و... العصر الألفي ليسا حدثين متطابقين» إن اليهود كانوا مصرّين على عنادهم وإن «من شأن البعث أن يكون مقدمة» للعصر الألفي، وأشار، بالتالي، إلى إمكانية حدوث العودة إلى فلسطين أولاً. والأسقف هورسلي الذي أراد إنقاذ اليهود بالهداية والبعث عن طريق إنجلترا البروتستانتية وافق مكرهاً على أن أوائل اليهود العائدين بالذات قد لا يكونون في حالة هداية بعد.[53]

وما لبث عقد تسعينيات القرن الثامن عشر الزاخر بالاضطرابات أن أثار بعض الشكوك حول موضوع آخر طالما شغل عدداً من الكتاب الذين ظلوا يتساءلون: كيف كانت أسباط إسرءيل وباقي اليهود سيقومون برحلة العودة؟ فاليهود المشتتون كانوا مبعثرين في أماكن متباعدة؛ كان يتعين عليهم أن يقطعوا مسافات طويلة، وكانوا فقراء وغير منظمين؛ هل كان بوسعهم أن ينطلقوا إلى بلدهم ويرسخوا كيانهم فيه بجهودهم ومواردهم الخاصة، أم أنهم كانوا سيحتاجون إلى مساعدة الأمم والدول الأخرى؟ يبدو أن مثل هذه الأسئلة لم تكن تشغل مؤلفي القرن الثامن عشر. غير أن إسحاق نيوتن كتب يقول: إن «وصية العودة إلى أورشليم وبنائها... قد تتحقق على أيدي اليهود أنفسهم بل على أيدي مملكة أخرى صديقة لهم». ولصدوره عن مثل هذا المرجع المرموق ربما أفضى هذا الرأي إلى حفز المعلقين على الاهتداء إلى تحديد هوية المملكة المرشحة لأن تبادر إلى دفع «اليهود نحو التحرك». ويتحدث وستتن في مذكراته عن أنه فكر ذات يوم بأن المقطع التاسع من الإصحاح الستين من نبوءة إشعيا القائل: «جزر البحر تنتظر يهوه، وسفن ترشيش في الطليعة لتحمل بنيك من بعيد ومعهم الفضة والذهب لاسم يهوه إلهك، لقدوس إسرءيل الذي مجدك» كانت تعني: أن «عودة اليهود الأولى ستكون بسفن عابرة للبحر الأبيض المتوسط من جزر بعيدة» هي ترشيش، كما يقول. «هذا لا ينطبق على أية أمة أخرى كانطباقها على الأمة البريطانية مصحوبة ربما بولايات هولندا». وثمة مؤلف مغفل كرر هذا الاكتشاف في الخمسينيات. وقد اعتقد أيضاً أن البرلمان كان يتعين عليه أن يتعامل مع اليهود بإنصاف وعدل في إقرار قانون التبعية، لأن من شأن ذلك أن يتيح لليهود «ليس فقط فرصة توسيع تجارتهم وزيادة

ثرائهم تحقيقاً للجزء الثاني من الآية المقتبسة بل كان سيمكنهم من شراء سفن تخصهم؛ مما قد يفضي ليس فقط إلى تسهيل عودتهم بل إلى تمكينهم من تقديم العون والمساعدة في عمليات جلب أشقائهم من بلدان أخرى». ومهما يكن فإن «انطلاقتهم الأولى... باتجاه أرضهم ستكون من إنجلترا... بمساعدة أسطول إنجليزي».[54] وبغية تجنب المبالغة في التحديد اكتفى آير بإقرار أن (الجزر) «في النص المقتبس» كانت تعني الأوروبيين وأن «ترشيش» كانت تعني البحر الأبيض المتوسط عموماً؛ وأن «سفن ذلك البحر ستكون في طليعة السفن التي ستعيد اليهود». أما بير فقد انقض، بالمقابل، على مجمل التعاليم الجديدة وراح يزخرفها بتفاصيل من جعبته هو. فبعد سعيه لتبيان أن ترشيش لم تكن في الحقيقة إلا إنجلترا التي لاذ بها يونان، يقول: «لا مجال للشك... بأن ترشيش عنت جزيرتنا وأن سفن ترشيش... إن هي إلا السفن العائدة لإنجلترا». وبالتالي «فإن هذه الجزيرة ستكون في طليعة الأمم التي ستعيدكم «أيها اليهود» إلى بلدكم». وعلى سؤال عاموس: «بفضل من سينهض يعقوب؟» يمكننا أن نجيب بثقة: «إن نهوض يعقوب سيكون بمساعدة إنجلترا تنفيذاً لمشيئة الرب وأمره المباشر، لأن ذلك مرسوم سلفاً على ما يبدو» كم من المجد والشرف ستحصل عليه إنجلترا ببقائها في طليعة أمم الأرض في هذه المناسبة العظيمة! ثم يتابع بير كلامه قائلاً: فضلاً عن الامتنان الذي ينبغي للشعب الإنجليزي أن يشعر به «إزاء مثل هذه الرحمة التي لا تقدر بثمن... بات واجباً على حكومتنا» أن تمد يد المساعدة في سبيل تحقيق «هذه الغاية المرجوة من منطلقات السياسة الصحيحة. فما أن يتم تجميع إخوتنا العبرانيين... واستيطانهم أرضهم مرة أخرى... حتى... يصبحوا بحاجة إلى العديد من الأدوات المصنعة، من ضروريات الحياة... وخصوصاً من الأقمشة الصوفية والقطنية. فهذه الأشياء سيتعين عليهم أن يشتروها من أمم أخرى لسنوات عديدة». وبعد إعادتهم حين «تنقلب قلوبهم إلى قلوب من لحم» سيصبحون «شعباً طيباً وعظيماً وسيبقون ممتنين لإنجلترا على صداقتها». وبما أن إنجلترا كانت محكومة بأن تساعدهم، فإن اليهود، بدورهم «يحسنون صنعاً إذا خطبوا ودها بشكل خاص».[55]

(10)

في أواخر تسعينيات القرن الثامن عشر ثارت الشكوك حول التوقعات الوطنية لبير ورفاقه الألفيين. فغزو نابليون مصر كان يشير، كما قال بعض الكتاب، إلى أن نيّات الرب بدت غير متطابقة مع الإيحاءات التي تكشفت لبير. وبعد قدر من الصراع الداخلي، شعر إدوارد كِنغ، آسفاً، بأنه مضطر للتسليم بأن شرف بعث اليهود العظيم بات من نصيب جيوش الثورة. أما الأسقف هورسلي فقد أحس بقدر مرير من السخط، ولم يستطع أن يقبل بأن السماء حمّلت فرنسا الملحدة مثل «هذه المسؤولية النبيلة»؛ وأخيراً عزى نفسه وقرّاءه قائلاً بأن من الممكن أن يوافق الفوج الأول فقط من العائدين اليهود على الرجوع إلى فلسطين بمساعدة الفرنسيين الكفار. ذلك أيضاً هو ما تمناه هنري كِتّ من أعماق قلبه، لأنه كان ميالاً إلى الاعتقاد بأن كِنغ كان على صواب. وبِتشِنُو هو الآخر كان متبنياً الرأي نفسه؛ فقد كتب يقول: «لا يسعني إلا أن أخشى من أننا لسنا الأمة المفضلة». غير أنه ظل حريصاً على البحث عن مخرج من هذا المأزق بما يفضي إلى إعادة الشرف لإنجلترا فضلاً عن منحها الفائدة السياسية.[56]

وهذا فعله جاهداً في كتابه الذي حمل عنوان «بعث اليهود، أزمة جميع الأمم» والذي تم نشره عند نهاية القرن. كانت التعاليم الخاصة بمفهوم البعث مدروسة بعمق ومبلورة؛ ولم يعد لدى بِتشِنُو الذي كان أحد دعاتها، بالفعل أي شيء جديد يقوله. فقد قام بتلخيص جملة النقاشات الرئيسية الدائرة حول الموضوع بكل جوانبه مع إيراد بنيات مؤيدة، بلغة واضحة، سلسة، وإن كانت متفاصحة أحياناً. وعلى هذا الصعيد كان العمل أشمل ما نُشر حتى ذلك التاريخ، وتضمن جملة المواد اللازمة لكتب ومواعظ لمؤلفين آخرين، عاجزين أيضاً عن إضافة أي جديد. غير أن ما كان جديراً في كتاب بِتشِنُو هو المغزى اللاهوتي-السياسي الذي أضفاه على الحدث في سياق مسار

التقـدم للتاريخ الذي كان يتكشّـف الآن في العالم. فعلى امتـداد الأجيال ظل الباحثون الكتابيـون دائبين على التلميح أو التصريح، كما سـبق لبِتشِـنُو نفسـه أن فعل، بأن بعث اليهود كان يشكل جزءاً لا يتجزأ من الأيام الأخيرة والعصر الألفي. ومع ذلك فكيف كان مـن الممكن جعـل هذا الأمر قابلاً للفهـم من منطلقات علمانية وبعبارات بسـيطة في ضـوء «أحـداث الأيام الخارقـة للعادة... التي لم تكن سـوى بدايـة الأحزان»؟ كان تفسـير بِتشِـنُو يذهـب إلى أن عودة اليهود كانت تشـكل منعطفاً رئيسـاً مـن منعطفات التاريـخ. والدليـل الملموس الأول عـلى أن العالم كان يقف على عتبـة عصر جديد تمثل بانهيـار مجمـل منظومة السـلطة البابويـة، في حين شـكلت إعادة اليهـود الخطوة الأولى بعـد العتبـة. فـ«الثورة المذهلة في فرنسـا» والأحـداث اللاحقة: «فتن الأمـم المرعبة»؛ والحـروب الرهيبة التي باتـت «الأمم تقوم خلالها بتقطيع أوصـال بعضها بعضاً حول آراء ومبـادئ جنبـاً إلى جنـب مع الدين والحكومات» وهذا كله لم يسـبق لـه مثيل برأيه «منذ تعلم الإنسان فنون إراقة الدماء». لقد كان النظام الثقافي، والاجتماعي، والسياسي كله في حالة ثورة واضطراب، مما هدد «بالإطاحة بمجمل نسـيج الأشـياء الإنسـانية». وحتى لو أمكن إعاقة تقدمها هنا وهناك، فقد كانت الثورة مرشحة لأن تتابع انتشارها؛ كان لا بد للأفكار الجديدة من أن تترسـخ، محدثة ثورة في النظام الفاسـد الحالي، وممهدة الطريـق لظهور نظـام اجتماعي، وسـياسي، وكنسي جديد في كل بلـد؛ ولم يكن ثمة أي مجـال للهروب مـن هذه التطورات. لمـاذا؟ لأن الرب، كما يؤكد بتشـنو، أراد، وما زال يريـد، الثورة. ذلك هو ما رسـمه مـن قبل؛ ذلك هو ما قد كان الأنبيـاء تنبؤوا به، تلك هي الغاية التي تحققت من أجلها عملية المجيء الأول للمسيح. أما مجيئه الثاني فقد كان سيسـاهم في إقامـة النظام الجديد القائم عـلى ركائز الحق، والعدل، والمسـاواة، الحرية، والسـلام الأبدي. ولدى حصـول عملية البعث والهداية اللاحقـة لليهود فقد كان من شـأن ذلك أن يشـكل الحدث الجلل الأول للحقبة الجديدة التي كانت سـتوافر «برهاناً صريحاً على وجود تدخل سماوي» في شؤون العالم، وعلى تقدم الرب المتدرج نحو هدفه السامي المتمثل بتحقيق العصر الألفي السعيد. كان ذلك هو، إذن، معنى الأزمة العالمية المتجلية في البعث اليهودي؛ فقد كان من شـأن ذلك أن يؤكد ما كان الرب يكشـف عنه للملأ عن طريق تزويد البشرية بالأخبار السعيدة عن الثورة الجديدة، وأن يشكل بشيراً يشي باعتزام الرب متابعة المسيرة، بعد البعث، وصولاً إلى تحقيق ما تكهن به من خلال

أنبياء، أي إلى «تحسين أحوال البشر وإسعادهم».

لم تكن إرادة السماء القاضية بالإطاحة بالنظام الموجود وتدشين آخر جديد منحصرة في شؤون الدول الداخلية، بل محكومة، بالضرورة، بأن تنعكس على علاقاتها الخارجية أيضاً. وهذه الفكرة مع ما تشي به من أن البعث ينطوي على أهمية مباشرة لسياسة بريطانيا، تشكل مفهوماً أصيلاً آخر في مؤلف بِتشنو. فهو يزعم أنه من الآن، من الثورة وصاعداً، كانت الشؤون الداخلية والخارجية للدول ستصبح وثيقة الارتباط جراء الطابع الذي تطبعها به الحقبة الجديدة. ثمة، مثلاً، كانت الإمبراطورية التركية (الكافرة) التي وقفت في طريق الخلاص. إن غلياناً ملحوظاً بوضوح، خصوصاً في الأقاليم، كان دائباً على نسف استقرار تلك المملكة. والآن قام الرب بتسخير فرنسا ضدها، فالرب بات الآن يستخدم «عصا غضبه» في سبيل «إحداث تغيرات عظيمة في العالم». ففرنسا قد كانت كسبت موطئ قدم في مصر «قريباً من الأرض الموعودة» كدليل واضح على أنها موشكة على إنزال ضربة حاسمة بـ«التركي البائس». كان ثمة عرض لـ«خليط الأسباب الطبيعية وفوق الطبيعية» الكامنة وراء تحقق عودة اليهود، كما كان الدكتور هارتلي قد أشار، و«التقدم الطبيعي للأمور وظروف الأمم؛ ولكن شرط خضوعها الاستثنائي لحكمة الرب... الموجهة» وفق تفسير بِتشنو. وهكذا فإن الفرنسيين الملحدين لم يكونوا، على ما يبدو بوضوح، غافلين تماماً عن أنهم كانوا، بغزوهم مصر، ينفذون المهمة التي كلفهم إياها الرب، ويحققون غايته المتمثلة، كما هو واضح من النبوءات، بـ«تطبيق أحكامه الصارمة على الطغاة المسلمين» يساعدونه بذلك على إنقاذ اليهود من شتاتهم. أما أن يكون جيشهم مشغولاً في مصر فيما كانت فرنسا مشتبكة في حرب طويلة على أعداء الثورة الألداء، وتواقة، بالتالي، لتعبئة سائر القوى الحليفة الممكنة لدحرهم، فإن الرب لا بد من أن يلهم حكامها بفكرة استخدام اليهود أيضاً في سبيل تحقيق ذلك الغرض.

من الواضح أن بِتشِنُو كان يفكر في جملة الشائعات المتواترة بعناد والدائرة حول اعتزام فرنسا إعادة اليهود. ربما لم يكن ثمة أية خطة من هذا النوع، ولكن رسالة اليهودي الإيطالي (مذكورة من قبل) وقد تكرر نشرها في الصحافة الإنجليزية، فُهمت على أنها تشي بأن الحكومة الفرنسية تعاطفت مع دعوته (لأخوته) إلى تنظيم أنفسهم من أجل العودة إلى فلسطين. وفي كتاب نُشر قبل كتاب بِتشِنُو بحوالي سنة، أشار هنري

كِت إلى هذه المسـألة، حيث بدا ميالاً لقبول الفكرة الراهنة المتمثلة بأن الفرنسـيين كانوا عازمين على ترسـيخ أقدامهم في القسطنطينية كمرحلة من مراحل «مخططاتهم الواسعة الهادفـة إلى نـوع مـن الهيمنة الشـاملة». وبالتالي لم يكن متعـذراً، برأيـه، أن تكون «هذه القـوة الكافرة» مرشـحة لأن «تقدم لليهـود أرضهم القديمة... بهدف... ربط شـعب قـوي... بمصالحهـا». وهكـذا فإن اليهود قـد «يصبحون... ذوي أهميـة لا توصف في عـالم... السياسـة». يقول الكاتب: «تصوروا فلسـطين وهي بيد شـعب قوي، تجاري، نشـيط وصادق، مجهز بسـائر العلـوم، وماهر في سـائر فنون هذا العـصر المتنور... وبما يجعل وضعها محسـوباً بصورة اسـتثنائية ليكون المقر المناسـب لإمبراطورية كونية. إنها «فلسـطين» شـاطئ البحـر الأبيض المتوسـط، قريبة مـن كل من مـصر والبحر الأحمر، مرتبطـة بآسـيا الصغرى، والخليج الفـارسي عن طريق الفرات، وبالتـالي فهي تتحكم، بالفعـل، بـ«بوابـات» كل مـن أوروبا وآسـيا وإفريقيـة». إلا أن كِت اعتقـد أن القوى الأوروبية كانت سـتتحد بالتأكيد ضد فرنسـا للحيلولة دون امتلاكها القسطنطينية، مما كان سـيجعل سـاعة إنجلترا تدق أخيراً داعيـة إياها، إلى «... تقديم المسـاعدة اللازمة لتمكين اليهود من العودة إلى أرضهم».

غير أن بِتشِنُو لم يكن ليرضى بالانتظار ليس إلا، وعقد الأمل على حدوث الأفضل. فقـد أراد لحكومته أن تبادر إلى العمل. يجـب أن يكون قد تأثر بملاحظات كتبت حول العواقـب المرعبـة لأي احتلال فرنسي ممكن لشرق المتوسـط. وبالفعـل فإن وجهة نظر كِت عن الأهمية السياسـية والاقتصادية لفلسطين خاضعة لملكية «شعب قوي، تجاري، نشـيط، وصادق...» تبدو، وإن لم يكن ذلك شـديد الوضوح من السـياق، مشـيرة إلى الفرنسـيين أكثر من إشـارتها إلى اليهود. ومع ذلك فقد كان كافياً بالنسـبة إلى بِتشِـنُو أن يقدم تصوراً سياسياً عاماً عن مدى أهمية البعث اليهودي في الشؤون العالمية وأن يقترح خطاً سياسـياً، وهذه مسـاهمة أخرى تكاد أن تكون أصيلة من مساهماته، كان من شأنه أن ينطوي على نتائج بعيدة المدى. فقد كتب يقول: «إن شعباً قوياً قد يبادر، وخصوصاً إذا كان في حالـة حرب مع الأتـراك، إلى... تبني قضيتهم «قضيـة اليهودِ» فيغدو وصياً ومسـاعداً وولي نعمـة لهـم في عملية العـودة إلى بلدهم؛ لا من منظور تمكـين النبوءات مـن التحقـق أو القيام بعمـل يبعث السرور في قلب الرب، بل في سـبيل تدعيم وتعزيز مخططاتـه هـو (الشـعب). وإذا كانت فكـرة كهذه سـتخطر في بال حكام هذا الشـعب

المفترض، فإنهم قد يقولون: «ثمة ملايين من اليهود منتشرون في أرجاء أوروبا كما في تلك المناطق الآسيوية والإفريقية الملاصقة لسورية. ومن شأن إلهاب ذلك الحماس الذي أثارهم في الماضي ودفعهم إلى السعي لاستعادة أرضهم ولإعادة إقامة اتحادهم مع استعادة دينهم، مرة أخرى وتسخيره لخدمة قضيتنا، أن يشكل سلاحاً جباراً بأيدينا، أن يمكننا من امتلاك موارد هائلة نوظفها في سبيل تحقيق أغراضنا».

ويتابع بِتشِنُو كلامه قائلاً: إن وطنيين إنجليز صادقين، طيبين وجيدين اعتقدوا بأن الرب قد كان أوكل إليهم مهمة مساعدة اليهود على العودة، وهم «يطمحون إلى ضمانها لهذا البلد». كما أشارت النبوءات هي الأخرى أشارت إلى أن أمة غربية كانت مرشحة لأن «تكون أداة تحقيق عملية البعث». غير أن هوية تلك الأمة لم تكن كُشفت؛ فتحديد هوية تلك الأمة كان سيتوقف على الظروف. وحسب مخاوف المؤلف، فإن مشكلة إنجلترا الكبرى الآن كانت تكمن في عجز الحكومة الواضح عن القيام بأي عمل ملموس لدفع عملية العودة لأن الحرب مع فرنسا قد كانت أجبرتها على التحالف مع تركيا. وبتبنيها هذه السياسة اقترفت الحكومة خطيئتين كبيرتين. فالحرب مع فرنسا كانت، أولاً، متناقضة مع مشيئة الرب ومخططاته الرامية إلى خدمة (رفاء الجنس البشري)؛ فضلاً عن أنها كانت بلا جدوى، لأن السماء شاءت أن يتم انتشار أفكار الثورة على نطاق واسع. وبتحالفها مع تركيا كانت إنجلترا، ثانياً، وقفت في صف أولئك الكفار الذين دأبوا على الحيلولة دون تمكين اليهود من العودة إلى أرضهم، مرجئين بذلك عملية خلاص الجنس البشري كله. كما أن أية فائدة لم تكن ستُجنى من هذا التحالف، لأن «تلك القوة المحمدية لن تلبث أن تزول من الأرض سريعاً» على أية حال. وبالتالي فإن سياسة الحكومة قد كانت تناقضت مع إرادة الرب ولا بد لها من أن تجلب عواقب كارثية على إنجلترا. غير أن بِتشِنُو عزّى قراءه وشجعهم قائلاً إن الحكومة كانت ما تزال قادرة على إخراج البلاد من هذه الورطة إذا ما قررت أن تبادر إلى التحرك في سبيل خدمة قضية عودة اليهود، وتساهم بالتالي في تنفيذ الخطة الإلهية في هذا الميدان على الأقل. فالتحالف مع تركيا بالتحديد هو الذي كانت الحكومة تستطيع أن تستفيد منه. إن الحكومة كانت تستطيع أن توظف النفوذ الذي كانت إنجلترا تمارسه الآن على السلطان عبر قناصلها من أجل إغرائه بـ«التخلي عن» فلسطين «وهو إقليم لا ينتج إلا القليل جداً من الفوائد» لليهود «أصحابها الشرعيين». بل من الجدير أيضاً

أن تبادر الحكومة في الوقت نفسه إلى تقديم «بضعة ملايين» للسلطان «مقابل تنفيذ هذا التدبير». وبذلك ستكون بريطانيا قادرة، على الأقل «على الحيلولة دون تلك العواقب... التي من شأنها أن تكون وخيمة جداً وقاتلة بالنسبة إلى حكومتنا وتجارتنا» في حال نجاح الفرنسيين في تنفيذ سياستهم العميقة «القائمة على إعادة اليهود؛ ضامنة لنفسها في الوقت نفسه شرف صيرورة الأداة التي توظفها العناية الإلهية لاستعادة اليهود البائسين...» وحتى لو أخذت الأمور في مصر مساراً من شأنه أن يمنع أية عودة يهودية في المستقبل المباشر، فإن من الواضح وضوحاً شديداً «من مظهر أشياء كثيرة في العالم» ومن ضعف الإمبراطورية التركية خصوصاً، أن عملية استعادة اليهود أرضهم يستحيل «أن تكون بعيدة جداً». وبالتالي فإن على الحكومة البريطانية أن تبادر إلى الاضطلاع بالمهمة التي اقترحها قبل فوات الأوان.[57]

تضافرت مجموعة من آيات الإيمان العميق، والرؤى الصوفية، والمثل الاجتماعية العنصرية، والنزعات الوطنية الملتهبة والبصيرة السياسية الثاقبة في نوع من الخليط المضطرب في محاكمة بِتشنو، وجرى توظيفها في محاولاته الجاهدة لإقناع قرائه بأن من الحيوي بالنسبة إلى حكومة بريطانيا وشعبها أن يفهما معنى الأزمة الدينية، والعقيدية، والاجتماعية والسياسية التي كانت متلازمة مع عملية بعث اليهود. لقد كان ثورياً اجتماعياً استمد أفكاره من الكتب المقدسة؛ وتحقيق مثل الثورة كان بنظره متمثلاً بتحقيق العصر الألفي السعيد الذي كانت عودة اليهود مسألة حتمية لضمان مجيئه، كما شهدت النبوءات. ففكرة البعث كانت، بعد تعرضها للمعاينة والمناقشة من سائر جوانبها وتفرعاتها على امتداد أجيال طويلة، قد وصلت، برأيه، إلى النقطة التي بات تحققها فيها أمراً واجباً. فالمسألة ما عادت مسألة مناقشات أكاديمية؛ لقد أصبحت قضية واقعية وفعلية أيضاً. فالتاريخ الآن قد كان دخل أزمة هي في الحقيقة شرطها، وعند بوابات هذه الحقبة الزاخرة بالانتفاضات السياسية الاجتماعية والدينية، الحروب الرهيبة وأشكال المعاناة الإنسانية المرعبة، التي كانت جميعاً آلام مخاض مجيء المسيح الثاني، كانت تقف عملية البعث والعصر الألفي السعيد. وبالشروع في عملية البعث هذه كانت البشرية ستبدأ بالخروج من الأزمة والدخول في أزمان أفضل من سائر نظيراتها التي عرفتها من قبل. وقد كان بِتشِنُو من أولئك الذين أمنوا بأن مجيء يسوع الثاني والعصر الألفي السعيد سيكونان آنذاك حدثين ماديين، جالبين نعماً وبركات

مادية إلى هذا العالم، مما دفعه إلى أن يسعى لأن يبين، من منطلقات علمانية، ماهية النعم والبركات المخبوءة في رحم الأيام لخير الناس؛ ودأب على العمل لإقناعهم، وخصوصاً الحكومة، بأن عملية البعث كانت وشيكة، وبأن من شأن مصائر الأمم، مع انطلاقها، كانت ستوصم بالسراء أو الضراء. أراد بِتشِنُو أن يكون نصيب البريطانيين مع أولئك الذين كانوا سيتقاسمون النعم والخيرات. وذلك هو السبب الكامن وراء إصراره على تكرار حقيقة أن من يساعد على تحقيق غاية الرب المتمثلة بتنفيذ عمليتي البعث والعصر الألفي السعيد إنما يساعد نفسه. وكان من شأن عملية بعث اليهود أن تشكل عتلة سياسية لأية حكومة تقرر الإمساك بها وتوظيفها لخدمة أغراضها هي. أراد بِتشِنُو أن تبادر الحكومة والشعب إلى دعم مخطط الرب لأن العصر الألفي، وتلك السعادة والنعمة التي طالما تاقت البشرية إليها لم تكن بعيدة، ولأن العدالة، والأخوة والسلام كانت، آخر المطاف، من المصالح الحيوية لعامة الناس. وبالتالي فقد كان من واجب الحكومة أن تفعل ما هو خير وعادل، وفقاً لمشيئة الرب وإرادته. وكان من شأن ذلك أن يمكن الحكومة من تحقيق الفائدة لنفسها وللأمة جمعاء. لقد بادر الرب إلى دعوة اليهود للعودة؛ وسرعان ما (سيجري تحريكهم)؛ ومن شأن اعتماد سياسة تجسد فكرة البعث أن تنعم بالخيرات والفوائد المنبثقة من تحققها. لذا فإن الحاجة كانت تدعو إلى حلول ساعة قيام الحكومة بالمساهمة في إنجاز عملية البعث.

أما من هو الجمهور الذي آمن بهذه الأفكار واتبعها؟ كيف سعى إلى المساهمة في عملية بعث اليهود؟ ما التحرك الذي بادرت إليه الحكومة البريطانية؟ وكيف باتت هذه الحكومة مشاركة في العملية؟ ذلك كله يجب أن يشكل موضوعاً لدراسة أخرى.

الهـوامـش

(*) Mayir Verete. The Restoration of the Jews in English Protestant Thought 1790-1840, Middle Eastern Studies. Jan 1972, 8/7.

(1) E. Hodder, The Life and work of the seventh Earl of Shaftsbury, 1886, I, pp 310ff.; A. M. Haymson, The British Consulate in Jerusalem in relation to the Jews of Palestine, II, pp. Lxvii-lxxxiii.

(2) يبـدو أن هذه الأدبيـات بلغت أوجها وتجاوزتـه في أربعينيات القرن التاسـع عشر. غير أنني لستُ هنا بصدد تقويمها بحد ذاتها أو تقدير مدى تأثيرها على الجمهور البريطـاني. فالجوانب المختلفة لهذه الكتابات تتطلب دراسـة أساسـية وشـاملة، إلا أن ذلـك يبقـى خارج نطاق هذه المقالة. صحيح أن المرء يسـتطيع أن يسـلط بعض الضوء عـلى مدى اتسـاع هذه الأدبيـات وطبيعتها عبر الرجـوع إلى عناوين مراجـع إنكليزية. وثمة إشارات تكميلية تهم موضوعنا واردة في عناوين بالإنجليزية، ولا سيما فيما يخص الأعـمال التـي نُشرت بعد عـام (1823 م). على أن مجموعتي المراجـع كلتيهما لا تأتيان على ذكر بعض المؤلفات، وخصوصاً المواعظ (التي لا تحتل صفحات تفصيلية).
ليست هناك، فيما أعلم، أي كتاب أو مقال حول الموضوع المعروض للمناقشة. «بعد أن دفعـتُ المخطوطة إلى النـاشر رأيت كتاب The Vision was there, A History of the Britich Movement for the Restoration of the Jews to Palestine. (from the Elizabethan era to the Balfour Declaration). 1956. مـن تأليـف Franz Kobler ولكـن نظرتنـا إلى الموضـوع وطريقتنا في استكشـافه مختلفتان، على الرغم مـن أن كلينا لاحظ العديد من المؤلفات الأصلية ذاتها». وبالنسبة إلى هذه الدراسة فقد كان اعتمادي على الكتابات الأصلية ذاتها، على مذكرات وسير حياة عدد من مشاهير الكتاب الدينيين

والقـادة الأنغليكان، حيث يمكن العثور على المقتطفات واليوميات؛ على تقارير حولية لجمعيـة نشر المسـيحية بـين صفوف اليهـود، تتضمـن خطبـاً ومواعظ ورسـائل؛ على منشـورات الجمعية الأخرى وسـجلات محاضرهـا (وهي باقية في محفوظـات الجمعية بلندن) جنباً إلى جنب مع مواد معاصرة أخرى. كما سـيتبين في سـياق المقال. وبالطبع، كان («معجم السير الوطنية» / The Dictionary of National Biography) مساعداً كبيرا، لكنه لا يضم أي مداخل لعدد من المؤلفين ذوي العلاقة بالموضوع.
كانـت الأحاديـث مـع كل من عدد من أسـماء الأسـاتذة والمفكرين في أكسـفورد ذات جـدوى في إيضاح نقاط معينـة في التأويل الكتابي والنظرة إلى المسـألة اليهودية، أما فيما يخـص العديد من النقاشـات حول الإحيـاء الديني فأنا مدين لصديقـي الدكتور جون وُلش (Walshe John) الذي هو مرجع في المذهب المِثُدي (Methodist).

(3) This is the view of Claude Buchanan, scholar and missionary, in Christian Researches (1811), p. 192n.

(4) إن تحليـلي هنـا «الأدبيـات اليهودية» والاتجـاه الألفي قبيل تسـعينيات القرن الثامن عشر سريع والمسألة تحتاج بالتأكيد إلى دراسة مستفيضة.

(5) Ed May, Remarkable extracts… from a work… entitled The Accomplishment of the Scripture Prophecies… in which are pointed out, in an extraordinary manner, many things analogous to the present great changes in france(1790).

ثمة ترجمة إنجليزية لعمل جوريو (Jurieru) ظهرت عام (1687 م) وهناك كتاب ألفي صادر أواخر عام (1789 م) ألمح بإيجاز في مقدمته إلى الثورة الفرنسية بوصفها انتفاضة كانـت مع جملة الأحداث القوية في الماضي المباشر، تبشر بقدوم الحقبة المسـيحانية. غير أن جسـم العمل كان مكتوباً قبل الثورة، ويبقى نزوع النقاش من النمط الألفي العائد لما قبل الثورة. لقد تركز اهتمام المؤلف ريتشـارد بير Beere Richard) في المقام الأول، على إعادة اليهود، وسوف تتم مناقشة العمل لاحقاً.

(6) May, op. cit., pp. 3-4, 7, 24, 25-27. The passage dealing with the succession of events of the Latter Times is copied from the summary on p. 376 of Jurieu's book, where only the conversion of the Jews is referred to.

In the chapter dealing with events during the Kingdom of the Saints, however, the restoration to Palestine is also mentioned. According to Jurieu's interpretation of Revelation and other prophecies, the kingdom of the Jews after their return is identical with the kingdom of the Messiah. See Pierre Jurieu, The Accomplishment of the Scripture Prophecies(1687), pp. 2, 294ff.

(7) For example: (Anon.). The strange and wonderful predictions etc., Dublin 1792; (P. Jurieu), Accomplishment of Scripture Prophecies, abridged; wherein are contained many things relative to the late French Revolution London 1793; (Anon), Remarkable extracts...from...The Accomplishment of Scripture Prophecies, Henley 1793; J. C. B. Campbell (ed.), Predictions of the singular events which have recently taken place in France, Bath 1793; R Fleming Apocalyptical Key. An Extraordinary Discourse on the Rise and Fall of Papacy (1701), London 1793 (the book has an appendix by the publisher who explains the identification of the 'fourth beast' with Rome). During 1793-95 G. Terry published, in several editions, five pamphlets bearing the title Prophetical Extracts, and quoting from some fifteen well-known religious writers on the Revolution, the fall of Papacy, the Day of Judgment and similar Latter Day events. Other publishers too issued similar works during those and the following years.

(8) James Bicheno, The Signs of the Times, or the Overthrow of the Papal Tyranny in France, the Prelude of Destruction to Popery and Despotism, but of Peace to Mankind, Part 1 (1792). This is the year of publication given by Watt (see above, note 2), and he may possibly have had the first edition before him. The fourth edition, published in Edinburgh (a copy in the Bodleian Library), gives the date of the introduction as January 1792. The fourth edition published in London, however (a copy in the British

Museum library), gives January 1793: and W. T. Whitley apparently relied on the evidence of this edition in his Baptist Bibliography, 1916, s.v. J. Bicheno. Since Watt's bibliography preceded Whitley's and since a fourth edition of Bicheno's book appeared in 1794, 1792 may seem the correct date for the first edition.

(9) In his introduction to the Remarkable Extracts…, May mentioned that a copy of Jurieu's rare book was in his possession. Bicheno referred to Jurieu's work in one of his later books. Both May and Bicheno were Baptists and lived in Newbury. (Whitley, op. cit., the entries under their respective names). The names of the original owners of some of the millenarian tracts can be found on the copies in the Bodleian, and some of these appear to have been Newbury men. So had been Dr. Twisse, who, from his correspondence with Joseph Mede (see below), appears to have been one of the early millenarians of the seventeenth century, when they seem to have been a sort of secretive underground 'movement' It therefore may perhaps be concluded that Newbury became a centre of a millenarian community many of whom may have been Baptists.

- Gentile Church.

(10) (73, 76-Signs of Times, pp. I-II, 36, 62, 67, 72). تتم الإشارة إلى الأيام الأخيرة على الصفحة الثانية وتجري مناقشتها التفصيلية على الصفحة الثانية والسبعين: جدول إجمالي لأرقام نبوئية. أما فيما يخص الظهور «الممكن» ليسوع فلا يُعَبَّر عن أي شك حول الظهور بحد ذاته، بل يُشار، ربما، إلى مسألة ما إذا كان الظهور جسدياً أم روحياً، وهي نقطة كانت موضع خلاف بين علماء اللاهوت. هذا ولم يكن جيرو أيضاً حاسماً بشأن هذه المسألة (Chap. 24, part II, op. Cit.) وفيما بعد قام بتشنو بحسم القضية لصالح الظهور الجسدي.

(11) J. Bicheno, A Friendly Address to the Jews, 1787, pp. 59-60.

(12) J. Bicheno, A Word in Season, first ed. 1795, pp. 14-15, 20, 49, 51

Bicheno believed that the Restoration would begin not later than 1819, but their in gathering, return and judgment would take 45 years, at the end of which period i.e. in 1864, the Second Advent would take place.

(13) Joseph Priestley, The Present State of Europe compared with Ancient Prophecies, 1794, pp. 2, 3, 18-26. On p. 2 Priestley recalls a sermon he had delivered on the same theme. In the following years he published additional essays in the same spirit.

خـلال عامـي (1794-1795 م) صـدر ما يزيد عـن عشر مؤلفات ألفيـة، إضافة إلى تلك المذكورة فيما سبق والواردة في الهوامش التالية. ومن المؤلفين لا بد من الإتيان على ذكر اسم كاتب الذي كان أنغليكانياً وأحد كهنة الكنيسة الراسخين الكُثر النموذجيين. ففي كتاب حول إعادة اليهود (صدر في (1784 م) وسـتتم مناقشته لاحقاً، يبدو ميالاً باعتدال إلى النزعة الألفية، إلا أنه أشار، في ست مواعظ، (1793 م) إلى الطبيعة الألفية للأزمـان (خصوصاً في الصفحـات pp.8ff., 166 - 67 وبعد ذلك في عام (1795 م) في كتـاب (A General and connected view of the prophecies relating to the Times) أظهر أن فترة السـنوات الـ (1260) كانت موشـكة على الوصول إلى نهايتها وأن زمـن سـقوط البابويـة والإمبراطورية التركيـة وبعث اليهود بات قريبـاً جداً؛ وأن أزمـان غير اليهود سـيتم اسـتكمالها في عـام (1866 م) وليس في (2000 م) كما سـبق للقـس نيوتـن أن كتـب (pp. 185, 198, 270 - 76). وقد قام ويتكـر بنشر ثلاثة أعمال أخرى تناولت النبوءات في أعوام (1802-1806-1808م).

(14) Richard Brothers, A Revealed Knowledge of the Prophecies and Times...containing the Restoration of the Hebrews to Jerusalem by the year 1798, London 1794. The second part of the work was published in the same year. The following year, Brothers' followers published many books in defense of him personally and of his ideas. Among his most enthusiastic followers was a well-known artist, a Scots lawyer and a Member of Parliament. (See DNB). Cecil Roth's little book on Brothers, The Nephew of the Almighty 1933, is very sarcastic. Nothing could be easier. It is clear,

however, from the book that Roth has failed to understand the significance of the phenomenon being apparently unfamiliar with the millenarian literature and climate of the times. Ronald Matthews in Six English Messiahs 1936, has a chapter on Brothers. Although he does not give his sources he is evidently acquainted with them. He seems nevertheless not to have realized Brothers' link with contemporaneous millenarianism.

(15) (Anon). The Illuminator, or Looking glass of the Times... the French Revolution and the Overthrow of the Pope's authority foretold a century ago... A recent Prediction of... the Destruction of Mahomedism... and the Restoration of the Jews, 1797, pp. V, 22, 28-29.

يتحدث المؤلف (المفضل) عن نبوءة حديثة لواعظ مرموق حول عودة يهودية وشيكة، وقد أكد هو نفسه أن عملية الإعادة ستتم مع حلول عام (1802 م)...

J. Bicheno, The Probable Progress and Issue of the Commotions which have Agitated Europe since the French Revolution, 1797; idem., A Glance at the History of Christianity», June «1798.

ثمة طبعتان إضافيتان للعمل ظهرتا في العام نفسه. وقد أضاف بِشّنو إلى الطبعة الثالثة «ذيلا» الخامس من تشرين الثاني، حول الغزو الفرنسي لمصر والأحداث الجارية في الشرق. أما عن مصائر اليهود بعد الإطاحة بالبابوية والاستبداد التركي فانظر المصدر نفسه. وفي ذلك العام نفسه قام بنشر طبعة رابعة لجزأي («علامات الأزمنة»).

لقد ظهر ما يزيد عن أربعين مؤلفاً ألفياً خلال الفترة الممتدة بين عامي (1796-1799 م) إضافة إلى الطبعات الجديدة لكتب أقدم مثل«العلامات»، فضلاً عن سبيل من المقالات والقصائد ومراجعات الكتب الألفية المنشورة في الدوريات الدينية. ومعظم هذه الأعمال ظهرت خلال عامي (1798-1799 م).

(16) On the glory of the Latter , The Evangelical Magazine (Oct. 1793). The warning-ibid., 1796, p.303; the change of attitude-ibid. 1796, pp. 403ff., 412-14; reviews of millenarian writings ibid. 1797. p. 480 (a review of a book published three years earlier)!; 1798, pp. 173, 390; 1799, p.

75; 1800, pp 423-24. The editors, indeed, observed reticence during these years, yet apparently saw no reason, in the growing millenarian mood in the country, to go beyond the requirements of journalistic propriety and not to mirror to some extent the current literature of this type.

(17) Being Supreme the to Hymns, 1788; Criticism of Morsels, Ed- ward King 1795 . (كاتب التراتيل صيغة شائعة من صيغ التعبير الأدبي. المنشورات الدينية الصادرة عن الأنغليكان، وغالباً ما تكون ذات نزعة ألفية). Remarks on the Signs of the Times, 1798, pp. 3 - 4, 16, 18, 19 - 20, 23 27 (وحسب تقديره كانت السنوات الـ (1260) انتهت مع انهيار السلطة البابوية وتأسيس جمهورية روما) Idem., ASupplement to the Remarks on the Signe of the Times, February .1799, pp. 3, 9, 16, 21 ff

(18) See Jenkin's letter in the Jewish Expositor 1820, p. 267.

(19) Samuel Horsley, Lord Bishop of Rochester, Critical Disquisitions on the Eighteenth Chapter of Isaiah, 1799, pp. 1-2, 11-12, 85, 88-90, 98, 103; The Gentleman's Magazine, June 1799, pp. 497ff . and July 1799, p. 549; G R Balleine History of the Evangelical Party..., 1908, p.142: «هورسلي... كبير أساقفة العصر» Dictionary of National Biography (D.N.B. صحيح أن مؤلف المقال كان مطلعاً على أوراق هورسلي الخاصة، غير أنه لا يشير إلى وجود أية نزعات فكرية ألفية في مؤلفاته. ويبادر هـ. هـ. غِبْ H.H Gebb أحد أحفاد القس إلى التعبير عن الدهشة إزاء قيام هورسلي بتبني أفكار ألفية، كما يتضح من رسالة موجهة إلى أخيه أيلول (1806 م) بُعَيْد وفاته. سيقوم بونابرت...بتوطين جماعة يهودية ذات شأن في فلسطين... ومن ثم سوف يبادر إلى الظهور بمظهر المسيح. Life of Bishop Horsley (1909) غير أن كاهناً من الريف، ما لبث أن تحرى نوعات كهذه في الحملة التي أطلقها القس في روتشستر عام (1800 م) (ibid., p. 223) وكراسه الذي جاء رداً على القس، تم استعراضه في (The Gentleman's Magazine) في تشرين الأول (1801 م) (ص. 921). أما لويس وِيْه، أحد عتاة الألفيين أوائل القرن التاسع عشر، فقد رحب بتأويل هورسلي بوصفه فتحاً جديداً (Novum Organum) على

صعيد تفسيرات النبوءات.

(20) As to The Courier of 19 June 1798 and the pamphlet, see C. Roth, Magna Bibliotheca Anglo-Judaica (1937), p 376; The Gospel Magazine (June 1798) 'Restoration of the Jews', and (Sept. 1798), p. 357, where the letter is referred to; St. James's Chronicle, 14 July 1798 : Postscript.

(21) Bicheno, A Glance at the History of Christianity (3rd ed., Nov. 1798). Postscript, pp. 26-28. On the cover of this edition Bicheno gave notice that he was about to publish a fifth, enlarged edition of his Signs of the Times which would include a supplement on what was in store for the Turkish Empire. Henry Kett, History of the Interpreter of Prophecy, 1799. further editions :1799, 1800 5th 1805, III, pp. 222, 225-30; for his view in some detail, see below.

(22) Bicheno, A Glance… (4th ed., Sept. 1799): 'A postscript on the present movement in the East', pp. 27-28; The Gentleman's Magazine) July 1800, (p 648; also ibid). ,Sept. 1799, (p. 738 :'…it is surely no rash conjecture to suppose that they (the Jews) may be restored to their own land under the power and protection of another mighty empire…'

(23) Bicheno, The Restoration of the Jews, the crisis of all nations… (1800). The work will be discussed below.

(24) Andrew Willett, De universali novissima Iudaeorum vocatione (Cambridge 1590), pp. B1, E2; idem. Hexapla...upon the… Epistle... to the Romanes (1611) pp. 487, 510-1 (as well as his Commentary on Daniel 1610, p. 469). Thomas Draxe, The world's resurrection or the general calling of the Jews (1608 (pp 89-90 (Willett wrote - De...vocatione'; p. C3 - that 'praedictiones prophearum de lvdaeis non ad literam expendendae'; and his as well as Draxe's position must have been that the Jewish Restoration should be taken in its spiritual sense only. Thomas Brightman, The

Revelation of St John… (3rd ed., Leydon 1616), summary of Chap. XV, pp. 688-89 (first Latin ed., 3rd ed -. Apocalypsis Apocalypsos...) (Francfort, 1609, p. 433): An rursum revertentur Hierosolymam? Nihil certius, diserte prophetae confirmant inculcant passim; idem., Amost comfortable exposition of…Daniel…Wherein the restoringe of the Jewes and their callinge to the faith of Christ is set forth... (Amsterdam 1635), pp. 54, 109, 111-12 (the 1st ed., in Latin appeared in Basel, 1614). Both of Brightman's works appeared posthumously.

(25) Sir Henry Finch, The Worlds Great Restauration or the Calling of the Jews, and (with them) of all the Nations and Kingdoms of the Earth to the Faith of Christ (1621), pp. A2, 2-7, 49-50, 56, 59, 190. He once or twice uses ‘repayre’ as verb and noun for ‘restore’, ‘restoration’, ‘return’.

(26) S. L., Israel Redux or the Restauration of Israel (1677), ‘Epistle to the reader’, pp. 63, 70, 72-73, 81, 84-100, 103-4.

يستخدم لي (Lee) عدداً من المترادفات للدلالة على «إعادة» مثل «عودة»، «إعادة توطين»، «إرجاع»، «رجوع». ويتألف الكتاب من ثلاثة مقالات؛ كتب لي الأولان وقام بإعداد الثالث الذي ألفه فلتشر للنشر (كما سنرى لاحقاً). كان عنوان العمل من اختياره، فضلاً عن أنه كتب «رسالة إلى القارئ» وقعها باسمه الكامل. ينصب مقال لي الأول (ص. 9-13 (على معالجة مسألة الأسباط العشر، ويورد أدلة من الكتاب، تؤكد على أنها مع غيرها من اليهود سوف تتم هدايتها وتمكنها (من إقامة وطنها الخاص). أما المقال الثاني فيكمل الأول ويحمل عنوان («أرض الميعاد» The Land of Promise)، غير أن ترقيم صفحاته يأتي منفصلاً. وهنا فإن لي قد حاول، عن طريق الإشارة إلى كتب الرحلات، أن يثبت أن فلسطين كانت شبه خالية من السكان وإن كانت خصبة كعهدها على الدوام. وبعد ذلك انتقل إلى مناقشة حال اليهود المتمتعين بالأرض كلها لدى رجوعهم، ومع توسيع حدودها، حسب وعد الرب، «من نهر الفرات العظيم إلى البحر المصري» (ص.1-4). ألمح فنتش إلى هذه النقطة بإيجاز.

(27) J. Mede, The Key of the Revelation, 2nd ed. in English, 1650,

21, Part II, pp. 31, 120, and Conjecture concerning Gog-Part I, pp. 120 and Magog in the Revelation (مؤلـف مختـصر ملحـق بهذه الطبعـة من The Key الفصل الأول، (صدرت الطبعة الأولى للـ The Key باللغة اللاتينية في عام (1627 م (انظـر أيضاً ملاحظـات ميـد في Remains... Ch. Xii, Works, 3ed ed. Book III, 1672 pp. 603 - 4: During the second Kingdom: يقول أن عرش يشوع سيكون، خلال فترة المملكة الثانية، في السـماء بالفعل، ولكنه لن يلبث أن يظهر ويتجلى بوضوح نازلاً من السـماء خصيصاً لهداية شـعبه القديم وتجميعه...هداية وتجميع الأمة اليهودية كلهـا، (انظـر أيضـاً عنـوان مقدمـة Dr. Twisse's preface to the Key «حـين يـأتي زمـن دعوة اليهود...سـوف يتجمعون من سـائر الأماكن متوجهـين إلى أرض كنعان، حيـث يأتي اليهـود إلى أرض كنعان إلخ...»). كذا Idem. Works, Book, IV, Letters 53- 54, pp. 814, 816.)...أما عن تجنب ميد للتورط في النقاشـات الدائرة حول الأيام الأخيرة ومعالجته الشاقة للأمر فانظر. Ch XII XIV of The Apostasy of the Later Times, enlarged 5th ed.,) Works, III). ثمـة مثـال جيـد يؤكـد ميله إلى النزعة الألفية يمكن التماسه في الرسالة رقم (70).

(28) Peter Jurieu, The Accomplishment of the Scripture Prophecies (1687) Part II, s. III, X11, XVI, XVII, and especially pp. 294-301, 305-6, 309, 361, 385.

(29) (للوقـوف عـلى آراء فِنْتش ولي حـول وضع اليهـود في الأيام الأخـيرة انظر. Finch, op. cit., p. 7 and chap. V, Lee, op. cit., especially p. 105). (وإضافة إلى «الأدبيات اليهودية» المذكورة، يمكن إيراد بضعة نماذج إضافية. عناوين مراجع:

Thomas Cooper, The blessing of Jap heth, proving the... final conversion of the Jews (1615): ‘Doctrine 21-The Jews to be restored’... .the Jews shall have a full and glorious conversion...And why not principally at Jerusalem? (p. 53.) Robert Maton, Israel’s Redemption (1642): ‘...the kingdome of the Jews shall again be restored to them’. The words in Acts 1, 6 , ‘expresse an earthly kingdome’. .‘...the restored Jews shall be the royall nation of that renued world’ (pp. 2-3). Idem., Christ's personal reigne on

earth... ,divided into two parts, the first concerns the Jews conversion to the faith and restoration into a visible kingdom of judaea (1652); Edward Nicholas, An apology for the honourable nation of the Jews and all sons of Israel (1648): '...many promises made by God... for the reduction of them into their own country...a country lawfully theirs, by the donation of God himself. '...their restoration and inhabitation of their country here on earth is yet to be fulfilled' (pp. 7, 9) John Durey: An information concerning the present state of the Jewish nation...their conversion... and...their deliverance from captivity (1658): The return to 'the land of their inheritance' forms part of the deliverance, which will be 'both spiritual and bodily, the one will follow upon the other'. 'God is not only fitting them to return unto their own land...' (pp., 10).

وللاطلاع على الموقف الأكثر إيجابية من اليهود انظر.

Sh. Ettinger, 'The beginnings in the change in attitude of European Society towards the Jews', Scripta Hierosolymitana, VII, 1961, pp. 193ff.

إن المؤلف، كغيره من الكتاب الذين تناولوا هذا الموضوع والنزعة الموالية للسامية في القرنين السادس عشر والسابع عشر، قد أغفل احتمال كون هذا الموقف أيضاً (أو بصورة رئيسية؟ (نتيجة النظرة الجديدة إلى تفسير نبوءات الأيام الأخيرة.

(30) Sir Isaac Newton, Observations upon the Prophecies of Daniel and the Apocalypse of St. John (1733), pp. 251-53.

لم يذهب نيوتن إلى ما هو أبعد من سقوط القسطنطينية بيد الأتراك في عملية إضفاء ثوب النبوءات على أحداث لاحقة. غير أنه أشار إلى أن ملك الشمال عند دانيال، الذي اعتبره كُتّاب ألفيون السلطان التركي، كان مترنحاً. وتبعاً لهذا التفسير فإن الهزيمة الساحقة لملك الشمال كانت تشكل تمهيداً لعملية الإعادة.

(31) Thomas Newton, Dissertations on the Prophecies which have remarkably been fulfilled, and are this time fulfilling in the world (3 vols. 1754-58). The repeated appearance of new editions of this large work testi-

fies to the growing popularity of the subject, especially as from the 1770s. The third edition appeared in 1766, the 4th in 1772, the 5th in 1777 and the 9th, in Perth, in 1790. Though he, too, repeats Isaac Newton's warning against speculating on the 'wonders of the Latter Times', Bishop Newton frequently alludes or briefly refers to what might be expected in that era (I, 239-40, 402, 409; II 213, 346-48, 362-65; 409; III, 399-400); and he also elaborates on the Millennium and the Jewish Restoration at least twice (III 329-56, 409-12.) The very title of the work may have made the author suspected of harbouring millenarian inclinations. In the 1780s the part of his work dealing with the exposition on the Apocalypse was published separately.

(32) Richard Hurd, An intruoduction to the study of the Prophecies concerning the Christian Church... 1772 (further edition: 1772-2nd, 1773, 1788), pp. 175-86.

مركزية الموضوع اليهودي لإظهار صحة النبوءة (ص. 162 (أشكال التلميح إلى النهاية الوشيكة للشتات (ص. 174). لقد تم تقديم مضمون الكتاب على شكل محاضرات وعظية أول الأمر. وقد بالغ هدد في الإطراء على عملية الكشف التي قام بها ميد.

يمكن العثور على الزعم القائل بأن الرب حافظ على اليهود لغرض خاص في المستقبل في الأدبيات الدينية قبل كتاب القس هِرْد بزمن طويل، وإن لم تتم تسمية العودة المستقبلية المادية صراحة في الأحوال كلها. ففي إنجلترا أجد أن آندرو ويلست، نقلاً عن بيزا، هو أول من لفت الأنظار إلى هذه النقطة. وكذلك فإن فينتش ولي يأتيان على ذكرها. أما هِرْد بالذات فيشير إلى وجهة النظر الشهيرة لـ «م. باسكال العميق الفارق في التأمل» (وقد تم نشر التأملات بعد وفاة المؤلف في عام (1670 م ((بالفرنسية). أما الترجمة الإنجليزية فقد نشرت في (1705 م). وفي معرض ذكره «لرسالة اليهود» يقول الأفلاطوني الكامبردجي هنري مور إنه من غير المحتمل، على ما يبدو، أن يكون قد تم الحفاظ عليهم كشعب مختلف عن سائر شعوب العالم كل هذا الزمن دونما سبب،

(Apocalypsis Apocalpseos, 1680, p. xiii) (أما سـاموِيل كلارك، وهو داعية دين عقـلاني، فيقـول إن «أسر اليهود وتشـتيتهم..... واسـتمرارهم مع ذلك كشـعب مميز في سبيل تحقيق نبوءات ما زالت رهن المستقبل... ما هو خصوصاً «خط التشديد مني» إلا برهان دائم وأزلي على صدق النبوءات القديمة»... «إنها لمعجزة ليس لها أي نظير في ظواهر الطبيعة». وبعد ذلك ينتقل إلى الكتابة بشيء من الإطناب عن «العودة الأخيرة» لليهود وإقامتهم في فلسطين. (A discourse concerning... the truth and certainty of the Christian revelation, 10th ed. 1750, pp. 236, 277-79؛ تـم نـشر الكتـاب للمـرة الأولى في (1706 م). وفي إهدائـه للترجمـة التي أنجزها لكتـاب تاريخ اليهود، تأليـف باسـناج، إلى أحد الرهبان يقـول طوماس تيلر (عـام 1708 م («لعل أحد أهم أهداف هذا الكتاب هو تقديم حجة تثبت صحة ديننا إلى أولئك الذين يسـتخفون بهذا الدين ويحتقرونه، وكذلك فإن الفيلسـوف ديفيد هارتلي يشـير إلى أن «الظروف الحالية لليهود الباقين شـعباً متميزاً عن سـائر الأمم، تشكل برهاناً على صدق النبوءات وتشير بأن السـماء حافظت عليهم لمثل هذا العرض التفصيـلي، كعملية «الإعادة» الموعودة إلى أرضهـم الخاصـة كـما إلى مجدهـم وسـؤددهم العظيمـين». (Observation on Man, 1749, II, PP. 366, 375 - 75, 380؛ ثمـة طبعـات أخرى صدرت في أعوام (1791-1801-1810 م). ذلـك هو ما يفعله القـس طوماس نيوتن الذي يكرر توجيه اهتمام القارئ إلى «المعجزة الماثلة» المتمثلة بالبقاء اليهودي في الشتات، مطلقاً صرخة اندهاش في إحـدى المناسـبات قائـلاً: «وهل ثمة أية حجـج أقوى وأقدر على الإقنـاع يمكن أن تطلبها للبرهان على صحة وصدق كل من الديانتين اليهودية والمسيحية؟» (ثمة معجزة دائمة ومضطردة حافظت عليهم كشـعب مميز في سـبيل استكمال تحقيق نبوءات أخرى ذات علاقة بهم. op. cit., I, 190 - 91, 216 - 17, 239 - 40, III, 419, and the preceding note.

(33) Thomas Burnet, A treatise concerning the state of departed souls... after the resurrection (1730), pp. 306-12; idem. ,Appendix to the ninth chapter of the State of the dead concerning...the future restauration of the Jews (1729) pp 2-7, 26, 37-8, 59, 80, 84-6, 91-2, 95-7 (both works are erroneously ascribed by Watt to Bishop Gilbert Burnet). The Treatise, the 9th

chapter of which includes a ‘digression’ on the Jewish Restoration, was first published in Latin c. 1700 and republished in 1720 and 1723; another edition with an Appendix ‘De futura ludaeorum restauratione’ was published in 1727 and republished in 1728 and (in Rotterdam) 1729. The first English translation of the second part of the Treatise including Chapter IX was published in 1728. Another translation of the whole work but without the Appendix was published in 1730 and 1739 A separate English translation of the App. was issued in 1729. On Burnet see DNB, and ‘Translator's conclusion’ in the 1728 English ed. of the second part of the Treatise.

(34) Joseph Eyer, Observattions upon the prophecies relating to the Restoration of the Jews... In answer to the objections of some late writers,. 1771, pp. VIII-XI,XV, 1-2.

استثنى آير كلاً من ميد وطوماس نيوتن من انتقاده المؤولين. غير أنه لم يذكر أياً من الأعمال الألفية الصريحة التي فسرت النبوءات ذات العلاقة حرفياً. وربما لم يكن هذا عائداً إلى أنه كان راغباً في أن يبد أصيلاً، بل إلى أنه لم يرد أن يثير الشكوك بوجود نزعات ألفية لديه أوبوجود أي «حماس» ألفي عنده، وهما أمران كانا يُعتبران بنظر الدائر المحافظة دينياً وهي الدوائر التي كان الناس الذين يريد إقناعهم بالذات فينتمون إليها، من الأمور المستهجنة. وفي عملية التميز بين مرحلتي مملكة الرب كان آير يحذو حذو ميد الذي سبق له أن زعم أن المرحلة الثانية وعملية إعادة اليهود ستتحاثيان ستتمان في وقت واحد من)Mede Works, I, Discourse 25(. Jurieu, who is not)mentioned by Eyer)although mentioned by Thomas Newton. وكذلك فإن جوربو الذي لا يأتي أير على ذكره (رغم أن طوماس نيوتن ذكره (تبنى تمييز مير، مبنياً أن مملكة القديسين الألفية كانت متماهية مع المملكة المسيحانية التي وُعد اليهود بها بعد عودتهم. إن آير لا يناقش هذا الموضوع على الإطلاق.

(35) Eyre, op. Cit., especially pp.14, 18, 23, 28, 33, 37, 45, 48, 53-70, 92, 118 121-2. Taking issue with an opponent, Eyre wrote in his appendix :‘the Jews cannot by a restoration to the land of Judaea become a separate

Civil body or nation?... The tenor of the Prophecies, even as interpreted by Christ and his Apostles, declares such a restoration to be certain' (pp.154-5). Thomas Newton whose work earned Eyre's high praise, explicitly wrote '...the Jews shall...be restored to their own land; Settlement of Israel in their own land; Reestablishment of the Jews; Resettlement of the children of Israel in their own land' (op. cit., III, 401, 407, 408, 409).

(36) Gregory Sharpe, The Rise and Fall of the Holy City and Temple of Jerusalem (1765), pp. 24, 27-8, 42, 44, 46, 51, 55-60. The substance of the work was preached in 1764. Sharpe asserted that 'the great day of God' spoken of by the prophets referred to the destruction of Jerusalem, 'not to the end of the world'. The Jewish Teniple 'is never to be revived'; and 'The Temple under the new Covenant is a spiritual Temple, built up in Christ' He claimed that his interpretations gave the plain meaning of Scripture. 'Nothing surely can be more explicit, more certain, more convincing to any unprejudiced mind...Here is no ambiguity, no conjecture, no accommodation' - he wrote most probably having in mind interpretations like those of Thomas Newton Eyre and, especially, of the outspoken millenarians.

John Tottie, Sermons (1775) (Sermon XV :Christ's Second Coming, the day of final judgement-preached in 1774), pp. 308ff., especially pp. 308-10 312-14.

- Dissertation... on the final restoration of the Jews.

(37) E.W. Whitaker, A Dissertation on the Prophecies relating to the Final Restoration of the Jews (1784), pp.7, 8, 9, 11, 13-15, 31-4.

(38) W. Whitaker, A Letter to the People of the Jews (1788). I have been unable to get hold of this book. To judge by its title it seems to have been an appeal to the Jews to convert, similar in vein to Bicheno's Friendly Address (note 11 above) and several other works of a similar title. Richard Beere,

An Epistle to the Chief Priest and Elders of the Jews... to which is added an investigation and computation of the exact time of their final Restoration (1789), pp.114, 121, 124-25; idem. ,A Dissertation…containing strong and cogent reasons to prove that the commencement of the final Restoration of the Jews to the Holy Land is to take place in the ensuing year A. D. 1791 (1790), pp. IV, 34-35, 43.

(39) Whitaker's A General and Connected view of the Prophecies relating to the Times of the Gentiles (1795 and 1798) - only moderately millenarian - must be mentioned as one of the few exceptions.

(**) أعتقد أن الحماس المتجدد للتبشير الخارجي كان نتاجاً واقعياً ملموساً للعقيدة الألفية المتنامية، وخصوصاً في تسعينيات القرن الثامن عشر. فالنقاشات التي جاءت قبيل تأسيس عدد غير قليل من الجمعيات التبشيرية خلال ذلك العقد والعقد الذي يليه تشير إلى مثل هذا الارتباط المباشر بصورة واضحة. سأعالج هذه النقطة بقدر أكبر من الإحاطة في قسم آخر من هذه الدراسة.

(40) James Jerram» ed. The Memoirs of... Rev. Charles Jerram (1855), p. 88 His early life, prior to his entering the university, is portrayed in the first 50 pages of the book, which is an important source for the study of religious life in England during the second half of the eighteenth century. On Simeon see DNB. His personality and influence are among the best known in the annals of the Evangelical movement. His connection with the 'Jewish question' will be discussed later in this study.

(41) Charles Jerram, An Essay Tending to Shew the Grounds Contained in Scripture for expecting a Future Restoration of the Jews (Cambridge 1796) pp. 4-9, 12, 15, 2021, 25, 40, 44-47, 50-52, 55.

(42) Brightman, A... exposition... of Daniel, p.103; h, op. Cit., pp. A2, 3, 54-56 59; Lee, op. Cit., pp.121-22. Mede did not specify the year of the beginning of heresy, but indicated that 455 might he considered as a pos-

sibility, thus hinting at 1715 as the end of the times of the Gentiles). The Apostasy of the Latter Times, Ch. XIV-Works, ed.1672, 111).

(43) William Whiston (1667-1752)), Memoirs (1749, 2nd ed., 1753), pp. 333 416. He took part in the controversy with the Deists and published essays on the fulfilment of the prophecies in 1708 and 1724.

(44) (Anon.) The full and final Restoration of the Jews and Israelites, evidently set forth to be nigh at band...with their happy settlement in their own land (1753), p.15; Richard Clarke, Signs of Times, or a voice to Babylon... and to the Jews in particular (1773), p. iv. He had published an essay of a similar character ten years earlier :The Voice of Glad Tidings to Jews and Gentiles (1763).

(45) (Anon.), A treatise of the future Restoration Jews and Israelites to their own land (1747), p. 61. Whiston in his Memoirs-note 43, above - p.420 gives the name of Dr. Collet as the author of this essay. He also mentions on several occasions a Mr Samuel Collet, a Baptist. And if the ‘Dr’ is not there by a slip of the pen or print, it is doubtful whether all the Colletts mentioned by Whiston are the same person; Beere, An Epistle... pp.124-25; idem., A Dissertation...to prove...the commencement of the... restoration... in...1791; Brothers. A revealed knowledge...containing the Restoration of the Hebrews...by 1798; Bicheno, Signs… p. 76. There were several other predictions as to the date of the return.

(46) Giles Fletcher, The Tartars or Ten Tribes in Lee's Israel Redux, op. cit., 5-6, 8, 12-13, 21-26, S.l., Adissertation concerning the place and state of the disersed Tribes of Israel, ib, pp. 43-61.

(يوجـد في الهامش رقـم (26) تفصيل لبنية هذا الكتاب) سـبق للعارض الفرنسي ف. مورفي أن عبر، قبل فلتشر، عن رأي مشابه فيما يخص موقع الأسباط العشر.
يُقرّ لي بأن مؤلَّف فلتشر جاءه من حفيد الأخير فيناس فلتشر. وفي مذكراته يقول وِستن

إن العمل تم اكتشـافه في مكتبة فرانسـس نذرسـول، سـفير تشـارلز الثاني في روسـيا، وإنه «وسـتن» امتلك نسـخة منذ زمـن طويل؛ إنه يورد عنواناً مختلفـاً بعض الشيء عن العنـوان الذي حـدده لي (المذكـرات، ص. 387–401). ليس واضحـاً متى بالضبط تمت كتابة المقال. ويقول وِسـتن (المذكـرات، 401 (إن جوهر العمل موجود في كتاب فلتـشر عن روسـيا، وهو كتاب نُشر عام (1590 م). ومـن جهة أخرى فإن فلتشر يأتي عـلى ذكر معالجة براتيـمان للرؤيا (الوحي (تلك المعالجة التي لم تصدر طبعتها الأولى إلا في (1609 م). (يبـدو أن فلتـشر كان أحـد أوائل الأنجليز المؤمنـين بالبعث اليهودي، غير أن آراءه لم تنشر إلا في (1677 م (حين خرج كتاب («استعادة إسرائيل» / Redux Israel (تأليف لي من المطبعة).

إن لي الذي يورد أسـماء العديد من المؤلفين الذين عالجوا الموضوع يرفض وجهة النظر التي سـاقها منسّـه بن إسرائيـل وآخريـن والتي تقول بأن الأسـباط العـشر ربما تكون موجـودة في أمريـكا (للإطلاع على آراء الأخير حول الموضـوع، انظر. IX, Ch (1934 (Israel ben Menassah of Life A, Roth's. C

(47) قام وِستن بمعالجة الموضوع في ثلاث مناسبات :

A Collection of Authentic Records belonging to the Old and New Testament (1727), I, pp. 53-54; The Sacred History of the Old and New Testament 1745 II, 543-44; Memoirs (op. cit.), pp. 387-406

حيـث قـدم أيضاً النص الكامـل لمقال فلتشر. أمـا المختص بالدراسـات العبرية الذي اسـتند إليه وِسـتن فهـو نيكولاس فولر الذي صـدر كتابه الذي ماهى بين القدوسـيين والفادوشـيم في عـام (1612 م). لم يقـم فلتـشر بذكر اسـم فولر؛ وصحيـح أن لي أتى عـلى ذكره، ولكن دون الإشـارة إلى رأيه بالقادوسـيين أما وِسـتن فقـد ذكر الاثنين؛ بل وقد حاول، في مقطع من السـجلات الصحيحة كرسـه لشرح قصـة بلوتارك، أن يقنع القارئ بأن بلوتارك نفسـه هو الذي كتب نصاً بعنوان «شعب يُعرف باسم القادوسيين أو الشعب المقدس»، وهو أمر لم يكن صحيحاً على الإطلاق.

في Ph. J von Strahlenberg, An historico-geographical description of the North and Eastern parts of Europe and Asia, 1738, p. 398.) تـم نـشر الطبعـة الأصليـة في (1730 م). واصفاً إحدى عادات الكيوبتزين يلاحظ المؤلف أن الاعتقاد

السـائد لدى العامة المتمثل بأن اليهود اسـتخدموا الدم المسـيحي لأغراض دينية ليس «إلا خرافـة وتلفيقـاً زائفاً». «مغفـل»، A treaties of the future Restoration of the Jews and Israelites... 1747، (ص. 24-25 (وهامـش رقـم (47 ((لا يأتي المؤلف على ذكر «اكتشـاف» وِسـتن الشـهير ولكن من المؤكد أنه كان معروفاً لديه). «مغفل»، The full and final Restoration of the Jews and Israelites... (1753 م)، (ص. 2-9).

(48) Th. Newton, op. cit., I, 207 - 14, J. Eyer, op. cit, pp. 100 - 2.
كان طومـاس نيوتـن يعتقد أن أكثريـة القصص الدائرة حول الوجود القومي المسـتقل للأسـباط العشر كانت (تلفيقات مفضوحة اصطنعها اليهود لتعظيم أمتهم). كان رأيه أن أعداداً كبيرة من أبناء الأسـباط العشر المنفية يجب أن يكونوا التحقوا، بمنفيي يهودا وبنيامـين في بابـل، فقدوا اسـم إسرائيل كتسـمية مميزة، وباتوا منذ ذلـك الحين يعرفون عمومـاً باسـم اليهـود. قام نيوتـن في الحقيقة بتقديـم خلاصة لمعالجة جاك باسـناج دو بوفال الموسـعة للموضوع، إلا أن باسـناج لم يسـتخدم مثل هذه اللغة القوية فيما يخص الروايات اليهودية. لقد رفض باسناج الفكرة القائلة بأن الأسباط العشر كانت مختفية في مـكان بعيد، وفسر كيف اعتقد بأنهم مـا لبثوا أن اندمجوا مع أسرى يهودا في بابل، وقال إن أكثرية اليهود السـاحقة في المناطق الآسيوية من الإمبراطورية التركية، في فارس وما حولهـا من مناطق، كانوا لذلك من نسـل الأسـباط العشر. وقد قَـدَّر تعدادهم في تلك البقـاع بحـوالي 1,250,000). Basnage, The history of the Jews... 1708, Book VI, Chaps. 3,4, BookVII, Chap.33). (صدرت الطبعة الفرنسية الأولى في 1706 م).

(49) Asiatic Researches, 11 (1789), pp. 67-76; The Evangelical Magazine (Oct 1793), pp. 107-8; J. Bicheno, The Signs of the Times, Part 11 (1794), pp. 105-7. Encyclopaedia Britannica, 3rd ed. ,supplement (1801) ‘Afghans’, where a substantial summary of the article in the Asiatic Researches was given.

(***) الكلمات المكتوبة بحروف مشـددة هي العبارات المألوفة المسـتخدمة من قبل الكتاب للدلالة (بمقدار ما أسـتطيع أن اسـتخلص (على الأفعال المختلفة المتضمنة في

عمليـة الخلاص «الافتـداء». ليس ثمة أي تحديـد لأي منها في الكتابـات التي تابعتها. غـير أن المعنـى، حين لا يكون موضحـاً تخصيصاً (كما في اسـتعادتهم إلى أرض الآباء)، يبقـى كامناً في سـياق الجملة، في موقف المؤلف من التفسـير الصحيح للكتاب المقدس وللآيـات المقتبسـة من الكتاب أو المشـار إليها فيـه. ولعل العبارة الوحيـدة (وقد بطل اسـتخدامها بعد القرن السـابع عشر (التي يبقى معناها محاطاً ببعض الشـك هي عبارة يدعـو أو دعـوة (Calling or Call). وهـي بطبيعـة الحـال المـرادف الإنجليزي لكلمة فوكاتيـو (Vocatio (ومـن المؤكد أنها تتضمن على الدوام معنـى الهداية «اعتناق عقيدة جديدة». غير أن فلتشر، مثلاً، يقول عن آية معينة: «فُهمت على أنها دعوة إعادة اليهود مـن شـتاتهم إلى.. بلدهـن». غـير أن العبـارة لدى ورودهـا وحدها على شـكل (دعوة اليهود (لا يكون واضحاً على الدوام ما إذا كان الكاتب يقصد الخلاص الروحي وحده (لأن من الممكن هداية اليهود وهم في الشـتات وبقاؤهم حيث هم إلى الأبد أم المرحلة الأولى من سلسلة دعوات في الشتات، وبقاؤهم حيث هم إلى الأبد)، أم المرحلة الأولى من سلسـلة دعـوات الخلاص، لتتبعها جملة من المراحل الدنيويـة والروحية المتعاقبة في فلسـطين. وفي بعض الحالات قد يبدو كما لو أن الكاتب أراد، لتجنب موضوع العصر الألفي (وهو يرد في النقاش عادة مرتبطاً بالنعم والبركات الدنيوية التي تنتظر اليهود)، عـن قصد، أن يحصر نفسـه بالإتيان على ذكر الدعوة فقـط، رغم تفكيره، كما يتضح من مقطع آخر أو اثنين في كتابه، بالبعث الكامل.

(50) Finch, op. Cit., Outline of Ch. III, p. 3; Ch. ,VII, p. 50, pp. 54-7. J. Mede The Key of the Revelation (1650) ed. Dr. Twisse's preface, and Works, IV, Letters 5354; III, p. 603 :‘the calling and gathering of his ancient people’. Th. Newton Dissertations…1, 239-40, 111, 406-7. Lee, op. cit. ,pp. 64-9, 130, Conclusion; »Anon. «,A treatise of the future Restoration… (1747), pp.14, 18; Anon. ,The full and final Restoration… (1753), p.12; R. Clarke, The voice of glad tidings to Jews and Gentiles (1763); ANON., An earnest and affectionate address to the Jews (1774), p. 7; J. Bicheno, A friendly address to the Jews (1787).

(****)كانـت هـذه نقطـة أخـرى اختلفـت حولهـا الآراء إذا اعتقـد البعـض أن

الهداية ستكون عملية متدرجة في حين رأى آخرون أنها ستتم بصورة مفاجئة، باعتبار أن هداية بولس نمط الهداية المستقبلية للأمة كلها. يبدو أن جوزيف مِهْد كان من أوائل المفسرين البروتستانت في إنجلترا الذين طرحوا وجهة النظر الثانية.

(51) Jerram, op. Cit., pp. 3, 6-7, 15-16, 21-22, 46-47, 52.

(52) Whitaker, A Dissertation..., pp.10, 31-34. i am not quite clear whether Joseph Mede was free of such doubts, but 1 do not wish to press the point.

(53) Bicheno, The Signs..., pp. 36, 57-8, 62; Priestley, The Present State of Europe, pp. 19-20; Anon., Illuminator... of the Times, p. 29; The Gospel Magazine (1798), pp. 245, 356-58; King, Remarks,... p. 27; Jerram. op. cit pp 53-55; Horsley, Critical Disquisitions,...p.105; Kett, op. Cit. ,pp.214, 217-19 240, 336.

(54) Isaac Newton, Observations… (1733), pp. 133-34. Whiston, Memoirs pp. 417-18. Whiston explained that it was impossible to interpret the verse as applying to Spain and Portugal, because though they were naval powers in the Mediterranean, these countries were not friendly to Jews and would not be inclined to offer them such generous aid. Anon.,The Full and Final Restoration (1753), pp. 14-15. To the opponents of the Naturalization Bill he remarked that they need not worry excessively since the Jews would not remain in England too long :the Act ‘may in some measure strengthen them to depart both earlier and easier to their own land’.

(55) Eyre, op. cit. ,100-2. Anon., An Enquirer concerning Arguments... with the Jews (1774), pp. 35ff.; Beere, An Epistle... ,pp.130-34 and A Dissertation... pp. 36-44.

(56) King, Remarks, p. 29; Supplement, pp. 25-27; Horsley, Critical Disquisitions... ,pp.16, 103, 105; Kett, op. cit. ,pp. 219-21.

Kett, op. cit. ,pp. 222, 225-30; James Bicheno, The Restoration of the (57

Jews the crisis of all nations (1800), pp. 3-5, 11, n. ,57, 58-65, 70, 84ff 95-6, 111-13

(57) عـن الدكتـور هارتـلي، انظـر الهامـش رقـم (32). زعـم بتشـنو أن إلحـاد الديموقراطية الفرنسـية لم يكن ذا شـأن من حيث المبدأ، كانت تلـك مرحلة عابرة، لن يلبث الإيمان أن يعود سريعاً إلى الهيمنة هناك أيضاً.

إن وجهـة النظـر عـن الثـورة الفرنسـية التـي دأب بتشـنو وبعـض المتدينـين المتطرفين الآخرين على نشرها كانت بالمناسـبة التفسـير التاريخي الأول للحدث. فمنذ السنوات الأولى من التسـعينات بادر بتشـنو، وبريسـتلي أيضاً، إلى الكتابة بالأسـلوب ذاته. لعل أقوى الكتيبات الدائرة حول الموضوع التي قرأنها هو نص الموعظة التي ألقاها معمداني يدعـى مـارك ويلكـس في عـام (1791 م (وقـد كانت بعنـوان («حول جـذور الثورة افرنسـية واسـتقراره» On the Origin and Stability of the French Revolution (لقد عمد الرب إلى إحداث الثورة وبالتالي فمن المتعذر إبعادها عن العالم؛ «ما من شيء يمكـن أن يكـون أكثر إثارة لسـخط العناية الإلهية أكثر من الاضطهاد والاسـتبداد.... وأية يد تجلب الحرية • إنما توزع نعمة الرب». (ص. 32-33).

مسرد المرادفات

أبحاث آسيوية	Asiatic Researches
الأخوة المورافيين	Moravian Brothers
الأدبيات الترويجية	Publicistic literature
الأدبيات اليهودية	Jewish literature
إدوارد مِيْه	Edward May
إدوارد وِتِكَر	Edward Whitaker
أرزَرِت	Arzaret
إسدراس	Esdras
أطروحـة... حول البعث النهائي لليهـود	Dissertation... on the final Restoration of the Jews
إعادة تأسيس الحكومة اليهودية	Re-establishment of the Jews Government
الإعادة	Restoration
إفَنغِليكل مغازين	Magazine Evangelical
الأميُّون	Gentiles
آندرو وِلِّتْ	Andrew Willett
اتحاد	Commonwealth
بِتشِنُو	Bichino
بعث اليهود، أزمة جميع الأمم	Restoration of the Jews, the Crisis of all Nations
بلوتارخ	Plutarch
بِير	Beere

Jurieu Pierre	بيير جوريو
The Accomplishment of the Scripture Prophecies	تحقيـق نبوءات الكتاب المقـدس
Zwingli	تسفنغلي
Charled Jerram	تشارلز جِرام
Charles Simeon	تشارلز سِميُون
Thomas Brightman	طوماس بريتمَن
Thomas Draxe	طوماس دراكس
Thomas Newton	طوماس نيوتن
Joseph Meade (Mede)	جوزِف مِهْد (ميد)
Joseph Eyre	جوزِف آير
Dr. Joseph Priestly	الدكتور جوزف بريستلي
Eyre Joseph	جوزيف آير
On the Future Restoration, Conversion and Glory of the Jews	حول عودة الشعب اليهودي وهدايته ومجده في المستقبل
Derbent	دربنت
David Levy	ديفيد ليفي
The Courier	ذَ كورير
Richard Brothers	رِتْشَرد برذرز
Richard Beere	رِتْشَرد بير
A Letter of an Italian Jew to his Brethern	رسالة يهودي إيطالي إلى أخوته
Robert Maton	روبرت مِيْتَن
Samuel Clarck	ساموِيل كلارك
Samuel Lee	ساموِيل لي
The Saint James Chronicle	ذَ سانت جيمس كرنكل
Sir Henry Finch	سير هنري فِنتش
Shirwan	شروان

Thomas Burnet	طوماس بِرْنِت
The Signes of Times	علامات الأزمنة
Richard Beere, Rector of Sudbrooke	عميد سَدبروك رِتْشَرد بير
Fletcher Giles	غايلز فلتشر
Gregory Sharp	غْرِغُري شارب
Finch	فِنْتَشْ
Cadusians	القادوسيين
Jew Bill	قانون اليهود
redemption Iudaeorum quando copleta et perfecta erit	قرب نهاية العالم، قبل مجيء المسيح، ستتم دعوة أمة اليهود
Kett	كِتْ
Calvin	كلفن
King	كنغ
Kuba	كيوبا
Kunatsin	كيوبتزِن
Lutherans	اللوثريون
Matthias Earbery	ماتياس إربري
Media	الماديون (ميديا)
Methodist	المِثُديَّة
Oeconomy	المسكونة
Baptist	معمداني
Observation upon the prophecies relating to the restoration of the jews	ملاحظات على النبوءات الدائرة حول بعث اليهود
Melanchton	مِلنتشن
Glance at the History of Christianity	نظرة إلى تاريخ المسيحية
Norrisian	النوريسي
Hurd	هِرْد

Huss	هَسَّ
Henry Kett	هنري كِتّ
Hazaret	هَزَرِت
Hugh Broughton	هيو بروتن
Wycliffe	وكيلف
William Jones	وليم جونز
William Wiston	وليم وِستن
Jesuits	اليسوعيون

إصدارات قَدْمُس للنشر والتوزيع

الدراسـات الآتي ذكرها مجموعة كتيبات تحوي بمعظمها ترجمة دراسـات وأبحاث نشر أكثرهـا في دوريات متخصصة، تتعلق ببلادنا وقضايانـا التاريخية والمعاصرة، منها التالي ذكرها:

دراسـات قَدْمُـس (1): **كـمال الصليبي في حـوار مع زياد منى عـن مقولاته في نصوص التوراة والإنجيل** (أيلول 2001 م).

دراسـات قَدْمُس (2): **الإبيونيون وورقة بن نوفل والإسـلام**. تأليف: زياد منى (أيلول 2001 م).

دراسات قَدْمُس (3):

1- **معركة القادسية**. تأليف: س. م. يوسف.

2- **معركة اليرموك: إعادة تركيب**. تأليف: ج. جندارا.

3- **معركة هليوبوليس**. تأليف: ألفرِد بَتلَر.

4- **تطورات فنون الحرب الإسلامية: الفتوحات الأولى**. تأليف: ج. جندارا.

5- **دور الجمل والخيل في الفتوحات العربية المبكرة**. تأليف: د. ر. هِلّ). ترجمة: ميسون الحجيري؛ مراجعة: زياد منى (أيلول 2001 م).

دراسات قدمس (4):

1- **أشكال توظيف الماضي. علم الآثار في خدمة الدولة**. تأليف: دون فولر.

2- **مـن الدمـار إلى العـمار: أثر مفهـوم توراتي في علـم الآثار الشرق أوسـطي**. تأليف: نيل سلبرمن.

3- **الآثاريـات الكتابيـة والصحافـة: صياغة التصـورات الأمريكية لفلسـطين في العقـد الأول من الانتـداب**. تأليف: لورنس دفدسـن. ترجمة: فاضل جتكر.

مراجعة: زياد منى (أيلول 2001 م).

دراسات قَدْمُس (5): «**عودة» اليهود في الفكر البروتستانتي الإنجليزي (1790 – 1840 م)**. تأليف: مِير فرِيتِه، ترجمة: فاضل جتكر؛ مراجعة: زياد منى (أيلول 2001 م).

دراسات قَدْمُس (6):

1 – **أصل الاسم (سورية)**. تأليف: ريتشارد فراي.

2 – **كنعان، فينيقيا، أرجوان**. تأليف: ميخائيل أسطور.

3 – **أصل اسم العرب** (Saracens) **في اللاتينية**. تأليف: ديفيد غرافس، م. أكُنُر.

4 – **أباطرة وشيوخ رومان من المشرق العربي**. تأليف: غلِن بَوَرسوك.

5 – **فيليب العربي والمسيحية**. تأليف: هانز بولزَنْدَر. ترجمة: فاضل جتكر؛ مراجعة: زياد منى (أيلول 2001 م).

الألفية والمستوطنات الزراعية في الأرض المقدسة في القرن التاسع عشر. تأليف: ر. كارك، ترجمة: فاضل جتكر؛ مراجعة: زياد منى (تحت الطبع).

أورشليم داود: التلفيق والحقيقة. تأليف: مارغريت شتاينر، ترجمة: فاضل جتكر؛ مراجعة: زياد منى (تحت الطبع).

حول نقش «بيت دود (داود)». تأليف: كمال الصليبي، ترجمة: زياد منى (تحت الطبع).

جغرافية سفر التكوين (14) في عسير. تأليف: كمال الصليبي، ترجمة: زياد منى (قريباً).

مشكلة (داود وجليات). تأليف: كمال الصليبي، ترجمة زياد منى (قريباً).

الفرار من «أورشليم». تأليف: كمال الصليبي، ترجمة: زياد منى (قريباً).

مسألة «أورشليم». تأليف: كمال الصليبي. ترجمة: زياد منى (قريباً).

ملاحظات جغرافية ولغوية على التوراة. تأليف: كمال الصليبي، ترجمة: زياد منى (قريباً).

مقاطع متطابقة من العهد القديم والشعر العربي. تأليف: فراي هر فون غال، ترجمة: زياد منى (قريباً).

النبي محمد وهرقل. تأليف: أ. شارف (قريباً).

«**بيت داود (دود)» مبني على الرمال**. تأليف: فيليب ديفس: ترجمة: زياد منى (قريباً).

بين المنهجية والجنون: عن توظيف التوراة مرجعاً تاريخياً. تأليف: فيليب ديفس: ترجمة: زياد منى (قريباً).

(نَفَق سِلوان) هلنستي. تأليف: فيليب ديفس: ترجمة زياد منى (قريباً).

الإسلام في الكتابات البيزنطية. تأليف: فولفغانغ آيشنَر (قريباً).

الحركات الدينية في شمالي جزيرة العرب قبل الإسلام. تأليف: أ. شبرنغر (قريباً).

البحث عن الحلقة المفقودة: الآثار والرأي العام في لبنان. تأليف: هِلغا سِيدِن (قريباً).

موقف العرب من بيزنطة: الرسمي، الشعبي، العلمي. تأليف: أحمد شبول (قريباً).

هل «عبرية» التوراة لغة؟ تأليف: إرنست أكسل كناوف؛ مراجعة: زياد منى (قريباً).

الحركة الصهيونية والماسونية. تأليف: ميم كمال أكه (قريباً).

الأتراك والصهيونية وقضية فلسطين. تأليف: ميم كمال أكه (قريباً).

لبنان المسيحي: موقف البابوية - متطلبات الحماية الفرنسية (1840-1847 م). تأليف: الأب جوزيف حجار. ترجمة: عبدو مصلح (قريباً).

كتب قَدْمُس للنشر والتوزيع:

ماركو بولو: هل وصل إلى الصين؟ تأليف: فرنسس وود، ترجمة: فاضل جتكر؛ مراجعة: زياد منى (تشرين الثاني 1999 م).

لبنان القديم. تأليف: كارلهاينز برنهردت، ترجمة: ميشيل كيلو؛ مراجعة: زياد منى (تشرين الثاني 1999 م).

النهايات: الهوس القيامي الألفي. تأليف: ديتر تسمرلنغ، ترجمة: ميشيل كيلو؛ مراجعة: زياد منى (تشرين الثاني 1999 م).

تلفيق إسرءيل التوراتية، طمس التاريخ الفلسطيني. تأليف: كيث وايتلام، ترجمة: ممدوح عدوان؛ مراجعة: زياد منى (آذار 2000 م).

قديسات وملكات من المشرق السرياني وجزيرة العرب. تأليف: سِبَستيَن برُك وسوزان هارفي، وغْلِن بَوَرْسُك ترجمة: فريدة بولس وميسون الحُجيري. راجعها وقدم لها: المطران مار غريغوريوس يوحنا إبراهيم متروبوليت حلب للسريان

الأرثوذكس. الطبعة الأولى: (آب 2000 م).

المسيحية والعرب. تأليف: نقولا زيادة. الطبعة الأولى: (تموز 2000 م). الطبعة الثانية: (آب 2000 م). الطبعة الثالثة (أيلول 2001 م).

النظرية السياسية بين اليونان والإسلام. تأليف الدكتور عبد الوهاب مروان (تشرين الأول 2000 م).

الشعر العربي المغنى: دراسة تحليلية لموسيقى الشعر. تأليف: المقدم الدكتور إيليا فرنسيس (كانون الثاني 2001 م).

بحثاً عن إله ووطن: صراع الغرب على فلسطين وآثارها (1799-1917 م). تأليف: نِيل سلبرمن، ترجمة: فاضل جتكر، مراجعة: زياد منى (آذار 2001 م).

شاركتُ في الخديعة. تأليف: سلوى النعيمي (آذار 2001 م).

الماضي الخرافي: التوراة والتاريخ. تأليف: توماس طُمسُن، ترجمة: عدنان حسن. مراجعة: زياد منى (آذار 2001 م).

خالد وعمر: بحث نقدي في المصادر عن التأريخ الإسلامي المبكر. تأليف: كلاوس كلير، ترجمة: محمد جديد (تموز 2001 م).

بنية المسلسل الدرامي التلفزيوني: نحو درامية جديدة. تأليف قيس الزبيدي (تحت الطبع).

طب العيون عند العرب: تاريخ وأعلام. تأليف: نشأت الحمارنة (تحت الطبع).

الكتاب والاستعمار: السطو على الأرض في التوراة. تأليف: مايكل بريَر، ترجمة: أحمد الجمل (تحت الطبع).

الصهيونية المسيحية. تأليف: بول مركلي. ترجمة: فاضل جتكر. (تحت الطبع).

بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة. تأليف: وولتر كغي، ترجمة: نقولا زيادة (تحت الطبع).

الظاهر بيبرس. تأليف: بيتر ثوراو، ترجمة: محمد جديد (تحت الطبع).

الحرب البحرية والسياسة البحرية بين الإسلام والغرب. تأليف: إ. آيكوف (قريباً).

الحمّام في العصر العربي - الإسلامي الوسيط: دراسة ثقافية تاريخية. تأليف: هاينز غرتسفلد (قريباً).

هزيمة المسيحية، خطاب «العودة» واليهود. تأليف: د. أولستر (قريباً).

الطوائف المسيحية في فلسطين من الحكم البيزنطي إلى الفتح الإسلامي - دراسة تاريخية وأثرية. تأليف: روبرت شِك (قريباً).

غوته والعالم العربي. تأليف: كاتارينا مُمزِن (قريباً).

المولوخ - نظرة نقدية لتاريخ الولايات المتحدة. تأليف: كارلهاينز دِشنَر (قريباً).

بحثاً عن بني إسرءيل. تأليف: فيليب ديفس (قريباً).

إفريقية واكتشاف أمريكا. تأليف: ليو فينّر. (قريباً).

الفتوحات الإسلامية الأولى. تأليف: فِرد دونّر (قريباً).

حكايات آرامية من معلولا (قريباً).

الغرب والإسلام - صورة العرب في الغرب وتشكلها في العصر الوسيط المبكر. تأليف: إكهارت روتر (قريباً).

حكومات المسلمين. تأليف: عزيز العظمة (قريباً).

الجنس استشراقياً - قراءة في خطاب الغرب عن الشرق كآخر. تأليف: إرفين كميل شِك (قريباً).

الإسلام في عيون الآخرين. تأليف: روبرت هويلاند. (قريباً).

الكهانة بين العرب قبل الإسلام. تأليف: توفيق فهد. (قريباً).

كمال الصليبي وتوماس طمسن في حوار مع زياد منى حول «جغرافية التوراة» وتاريخ فلسطين القديم (قريباً).

تاريخ القدس (حتى عام 135 م). زياد منى (قريباً).

التلمود: مدخل وشروح. تأليف: هِرمان شترَك. ترجمة: زياد منى (قريباً).

فلسطين في العقل السياسي الأمريكي. تأليف: كاثلين كرِستسن (قريباً).

المسيحية والعروبة (وثائق مختارة). تأليف: د. فيكتور سحاب (قريباً).

عبد الله وشرق الأردن بين بريطانيا والحركة الصهيونية. تأليف: ماري ولسن. ترجمة: فضل الجراح (آب 2000 م). صدر عن: شركة قَدْمُس للنشر والتوزيع (ش. م. م) - بيروت.

جذور الوصاية الأردنية. تأليف: سليمان بشير. يصدر عن شركة قَدْمُس للنشر والتوزيع (ش. م. م)- بيروت. (تموز 2001 م).

تتعامـل هـذه الدراسـة المسـهبة مـع موضوع «عـودة» اليهـود إلى فلسـطين في الفكر البروتسـتانتي الإنجليزي الذي كان أول من طرح هذه المسـألة في العصور الحديثة، موضوع ضرورة البحث عن جذور الصهيونية في الفكر البروتسـتانتي الأصولي شارحة الترابط العضوي بين هذين الفكرين الرجعيين.

تكمن أهمية هذه الدراسة في كشفها الأصول البريطانية-البروتستانتي للصهيونيـة، وأبعـاد ذلك على كيفية إدارة الـصراع مع العدو بما يحقق الانتصار.

